قضايا نسوية في روايات ليلى الأطرش

(دراسة انتقائية تحليلية)

بحث جامعي لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة

إعداد

مهتاب عالم

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

(2017)

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Date: 21/07/2017

DECLARATION

I declare that this dissertation entitled **"Women Issues in the Novels of Laila Al- Atrash: A selective Analytical Study"** submitted by me is my original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University / Institution partially or fully.

Mahtab Alam
(Research Scholar)

Dr. Md. Qutbuddin
(SUPERVISOR)
CAAS/SLL&CS/JNU
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. RIZWANUR RAHMAN
CHAIRPERSON
CAAS/SLL&CS/JNU

مقدمة البحث

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد!

فنالت المرأة العربية وخاصة المرأة الفلسطينية اهتمام الكثير من الأدباء والأديبات والنقاد، الذين يحملون أفكارا مختلفة، ونزعات أدبية متنوعة، والذين لهم اهتماماتهم المتعددة في مجال الأدب والفن ولقد أفردوا لها مساحة واسعة في أعمالهم الأدبية وهي ما زالت عنصرا هاما وشطرا حساسا في المجتمع تأثرت به حركة الواقع وأثر فيها. وأصبحت قضية المرأة إحدى القضايا الهامة في العالم العربي خاصة في الوقت الحاضر، وهذه القضية ما زالت ولا تزال تهم العناصر الحكومية والمؤسسات الدولية منذ التسعينيات، فتقدمت مجموعة كبيرة من المنظمات الدولية إلى حماية حقوق المرأة التعليمية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمدنية وتناولتها بالبحث. وحاولت إيجاد حل ناجح لهذه القضية. وتحملت القوى العربية الدولية مسؤلية عن اتخاذ مواقف صارمة لوضع نهاية على جميع أنواع التمييز والظلم والجور، الذي يمارسه الرجل ضد المرأة سواء أكان ذاك يتعلق بحقها في الحصول على التعليم والتربية، أم التعرف على تجربة الحياة المهنية، أم يتعلق ذاك بقضاء أيام حياتها مع أفراد عائلتها. وبذلت بعض الحكومات العربية جهودا حثيثة لاستئصال كل أنواع الأدوار النمطية للجنسين والقضاء على عوامل العنف والاضطرابات العائلية من أجل تحسين مكانة المرأة، ومنح منزلتها وقيمتها، التي تستحق عن طريق توفير فرصة مناسبة لتحسين وضعها في مجال التعليم والثقافة، وسوق العمل لئلا

تعتمد حياتها على الآخرين ولا تبقى حملا عليهم بل تكون حرة في تصرفاتها. وقامت الدول بنشر الوعي في المجتمعات العربية نحو حقها في التعليم والزواج، ودعتها إلى وضع نهاية للتمييز الأساسي داخل العائلة الذي يسبب خلافات في الشؤون العائلية والأسرية وأتاحت الفرص لها لدراسة حقوقها القانونية.

لعبت الدول العربية في هذا المجال دورا بارزا، وعقدت العديد من المؤتمرات والندوات العلمية لمناقشة هذه القضايا النسوية. ووقعت الكثير من بنود الاتفاقيات، التي تهدف إلى رفع مكانة المرأة العربية، فأثمرت هذه الجهود عن تحسن كبير في أوضاعها في السنوات الأخيرة. ونحن لاحظنا تغييرا كبيرا على نطاق واسع في مفهوم شخصية المرأة ودورها، ولكن رغم ذلك كله، نحن لا نزال نسمع ونرى أن المرأة في بعض الدول والمجتمعات، لا تزال تعاني من العديد من المشاكل والعقبات، وتسلب حقوقها منها في متابعة تعليمها و في الزواج، وكذلك تواجه التمييز في مجالات شتى في مجتمع ذكوري، لا يسمح لها بالخروج من بيتها للحصول على التعليم، واستخدام مؤهلاتها التعليمية خارج البيت، على الرغم من امتلاك أكبر القدرات والمواهب من الرجل في بعض المجالات. ونرى أن السلطة الذكورية قد سادت في بعض المجتمعات البشرية، التي لا تسمح لها بتقديم رأي أوطرح اقتراح من جانبها، ولا تسمح لها بأن تتخذ أي قرار في حياتها، وهذا ما دفعت القيادات النسوية إلى رفع صوتها للقضاء على هذه المشاكل بإنشاء حركتها الفعالة.

لقد شهد العالم العربي العديد من أبرع الكاتبات والروائيات والقاصات، اللواتي بذلن قصارى جهودهن لإنقاذ المرأة من هذه التقاليد والمعيقات. واتخذن من قلمهن وسيلة لطرح الأسئلة ذات الصلة إلى العالم حول قضايا المرأة السيئة ومظالمهن. وحاولت كل منهن تمكين شخصيتها، وتعزيز مكانتها، ونحن نعرف جيدا أن النصف الثاني من القرن العشرين شهد تغييرا ملموسا في مجال الإنتاجات الأدبية النسوية، وإن مكتبات المدارس والكليات والجامعات تزدخر بملايين الكتب التي كتبتها المرأة

في القصة والرواية والشعر وفي مواضيع مختلفة أخرى. وشهد العالم بروز الكثير من الروائيات والأدبيات والشاعرات اللواتي تركن بصمة عميقة في شتى مجالات العلم والأدب. ونالت خدماتهن قبولا واسعا لدى الأوساط الأدبية والعلمية، فزاد اهتمام الأدباء والنقاد العرب بمنجزاتهن الإبداعية، حتى اضطروا إلى إفراد الكثير من الصفحات للكتابة حول أعمالهن الأدبية. وقاموا بتقدير مساعيهن الرائعة. ورأوا بروز بعض روائيات من بينهن تقدمن بأفكار جزئية في إنجازاتهن الأدبية والإبداعية. وأيقظن نساء العالم العربي من سباتهن العميق ضد قيود السلطة الأبوية. وحطمن الكثير من التابوهات من خلال مناقشة هذه القضايا.

إن النكبة الفلسطينية تعتبر نقطة تحول في الأدب العربي الحديث في العالم العربي وخاصة في فلسطين، التي شهدت قوة جديدة، تولدت إثر اضطهاد النظام الذكوري مع الشعور الفجائي بإفلاس القوات الحاكمة العربية القديمة وجلوسها مقطوفة اليدين، فإن الحياة الجديدة قد دبت في جسد الشعب الفلسطيني من جديد، فشهد العالم انفجار العديد من الثورات والانقلابات المتكررة، التي حولت مسار الحياة، وغيرت خارطة فلسطين سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتعليميا. ومن المعلوم لدينا جميعا أن النهضة الحديثة التي شهدها العالم بعد حملة نابليون بونابرت على مصر في عام 1798م لعبت دورا بارزا في تطوير الفنون الأدبية العربية. وعندما بدأ العرب في الاتصال بالغرب عقب هذه الحملة، فإن هذا الاتصال ثبت وسيلة بالغة الأهمية لتوسيع آفاق أفكار أدبائنا العرب، فاهتموا بالفنون الأدبية الجديدة الأخرى التي كانت شائعة في الدول الغربية من قصص قصيرة وروايات ومسرحيات. وإن فن الرواية من بين هذه الفنون الأدبية الحديثة نال قبولا واسعا على الصعيد الدولي. وتناولت الرواية العديد من أهم المواضيع منها: قضايا اجتماعية، وسياسية، ودينية، ووطنية، وتعليمية وغير ذلك من القضايا الأخرى المهمة مثل مسئلة الزواج، والحب، والفقر، والعادات، والتقاليد السائدة.

إن فلسطين لم تشهد منذ أواسط الخمسينيات حتى بداية السبعينيات إصدار أي عمل روائي، قامت به المرأة، وكأن السكوت قد غلب على قلم كاتباتها إثر نكسة حزيران، ولا نجد روائية وأديبة عبرت عن هذه النكبة في عملها الأدبي، بينما أن المرأة تعتبر أكثر قدرة على التعبير والتأثر من الرجل لوصدقنا مقولة "أن الرجل يتعامل مع الأحداث بعقله وتفكيره، وأن المرأة تتعامل معها بعاطفتها وأحاسيسها". وبالرجوع إلى تاريخ الأدب العربي في فلسطين، نجد أن سلوى البنا أصبحت أولى روائية، عبرت عن هذه الحرب المدمرة في إنتاجها الأدبي. كتبت سلوى روايتها القصيرة بعنوان "عروس خلف النهر" في سنة 1972 م. وبينت ما شاهدت في الثورة الفلسطينية بكل تفاصيل. وظهرت بعد ذلك على مسرح الأدب العربي العديد من الروائيات والشاعرات البارزات، ومن بينهن "ليلى الأطرش" الإعلامية والروائية البارعة، التي أبصرت النور لأول مرة في بيت ساحور في فلسطين وهي مقيمة في الأردن حاليا. إنها كرست حياتها لحماية حقوق المرأة، وحل مشاكلها الاجتماعية والعائلية، والقضاء على معاناتها. ودعت في كتاباتها إلى إزالة العنف والتطرف والتمييز الجنسوي ضد المرأة، وتعميم قيم التسامح، والتعاطف، والتعايش السلمي بين الشعوب والأمم العربية. وقامت بإثراء الأدب العربي بإنتاجاتها الأدبية وخدماتها الإعلامية والصحفية والتحقيقية. إن القضايا النسوية التي طرحتها "ليلى الأطرش" في رواياتها هي مهمة جدا، فتحتاج هذه القضية إلى من يكشفها، ويحاول معالجتها، وكذلك يبين فكرة الكاتبة، ونظرتها للمرأة، حيث أنها لا تزال إسما مغمورا في أوساطنا الهندية العربية الأدبية.

يتناول هذا البحث قضايا المرأة، واعتقد أن هذا الموضوع مهم جدا لأسباب تالية فيما أدناه :

الأول أن قضية المرأة هي قضية حساسة والسبب يرجع إلى دور المرأة الذي تلعبه في المجتمع لأننا نجد المرأة تأسر قلوبنا، وتستحوذ على عقولنا بصفتها أما وأختا وزوجة وحبيبة وصديقة.

والثاني أن هذا الموضوع له صلة وطيدة بالجنس الأدبي، وما زال فن الرواية يحل محل القبول والإعجاب لدى عشاق القراءة والمطالعة، ولذلك نحن نشاهد أنه أكثر الفنون الأدبية الأخرى انتشارا وازدهارا في جميع أنحاء العالم.

والثالث أن الباحثين والدارسين لم يهتموا بتحليل هذا الموضوع الهام كما يجب، ومن تناوله بالبحث، ما تجاوز تحليله ودراسته رواية لها أو روايتين، وكانت مختصرة لا تفي بطبيعة وضعها.

والرابع هو النضج التقني والفني لرواياتها، وتصوير الكاتبة لصورة المرأة خير تصوير في رواياتها، التي هي على وعي تام بمدى أهمية اتصال حركة المرأة العربية الفلسطينية بالمجتمع والقضية الوطنية، كونها عضوا فعالا في مسار حركة البناء والتحرير، والتي تتمثل بنظرتها الرائعة لنضال المرأة العربية الفلسطينية في وطنها المحتل.

إن المجتمع العربي يعاني من العديد من المشاكل الاجتماعية. وهناك الكثير من العقبات التي تحول دون سبيل تقدمه وتطوره، بما في ذلك الظلم والجور والتمييز الجنسوي ضد المرأة. ويرى بعض النقاد أن المرأة لا بد لها من الالتزام بالبيت وارتداء الحجاب. ومن جانب آخر هناك جماعة أخرى ترفع أصواتها قائلة بأن الوقت قد حان أن يخترق هذا الرداء الأسود ودعت المجتمعات العربية إلى توفير فرص متساوية لها في كل مجال من مجالات الحياة. وارتفعت بين هذين المتناقضين أصوات وسطية أخرى، قامت بتأييد منهج وسط بين الانغلاق والتحرر، وإن أصحاب كل هذه الأراء يحملون حججا وأدلة قدموها مع تقديم الخلفية التاريخية والأرضية الثقافية.

ومما قد سبق ذكره يمكن أن أقول، إن مجال الدراسة والبحث في موضوع قضايا نسوية، لم يزل جديدا وخصبا، ويحتاج إلى من يخوض غمار هذا الموضوع، ويقوم بتحليل أبعاده، ويدرس نظرة الكاتبة الفكرية والجماعية والفنية، ويقدمها لعشاق الأدب واللغة العربية، ويحاول أن يملأ ذلك الفراغ في مجال البحث الأدبي، لذلك اخترت هذا الموضوع، لأطلع على مكانة المرأة العربية في المجتمع العربي وصورتها واتعرف على دورها كأم، وبنت، وزوجة، وأخت، فوجدتها تقف جنبا إلى جنب مع الرجل، وتواكبه وتشارك معه في غمار النضال والكفاح، وتساعده في الصمود والتحرير. وحاولت في هذا البحث إلقاء الضوء على قضايا المرأة التي ناقشتها "الأطرش" في رواياتها وحاولت توضيح صورة المرأة ووضعها الاجتماعي والتعليمي والثقافي والاقتصادي في المجتمعات العربية وتشتمل هذه الدراسة على أهم رواياتها منها "وتشرق غربا"، "وليلتان وظل امرأة"، "ومرافئ الوهم"، "وترانيم الغواية"، و"إمرأة للفصول الخمسة".

أما منهج البحث الذي اتخذته، فإنه يبني على منح الأولية للنصوص الروائية للتعرف على بنيتها الداخلية والقيام بحتليل مدلولاتها واستقصاء قضايا المرأة واستيعابها بكل ما أثارته الكاتبة، من أسئلة وإشكاليات. وتتكون هذه الرسالة من ثلاثة أبواب وخاتمة البحث.

أما الباب الأول: فهو منقسم إلى فصلين، والفصل الأول يشتمل على مقدمة البحث مع ذكر أهمية الموضوع وأهدافه، وكذلك تحدثت في هذا الباب عن مولد الروائية وحياتها ونشأتها وتعليمها. والفصل الثاني يتضمن إسهاماتها الأدبية وخدماتها العلمية والاجتماعية في إثراء اللغة العربية وأدابها.

أما الباب الثاني: فقسمته إلى ثلاثة فصول، فالفصل الأول يتضمنه تاريخ فن الروايات النسوية وتطوره في فلسطين، ويدرس أهم الإنتاجات النسوية الروائية لبعض أبرز الروائيات الفلسطينيات اللواتي تناولن القضايا السياسية والدينية والثقافية ومشكلة

قمع الاحتلال الإسرائيلي، وخاصة تحدثن فيها عن معاناة المرأة العربية ومشكلة الازدواجية، ولعبن دورا بارزا في اختراق الثالوث المحرم. والفصل الثاني يشتمل على هوية المرأة وتمردها في روايات "ليلى الأطرش". ويدرس هذا الفصل نماذج المرأة المختلفة وأشكالها المتعددة التي جسدتها الكاتبة في رواياتها والتي لاحظت فيه صورة المرأة المتمردة، والمرأة المناضلة، والمرأة المثقفة، والمرأة غيرالمثقفة وفقا لمستويات قوة فكرها المختلفة، وانتماءاتها المتعددة، ومواقفها المتباينة. والفصل الثالث يبحث علاقة المرأة بالرجل كزوجة وحبيبة وأم وأخت داخل العائلة وخارجها، وتنوع جوانب هذه العلاقة، وتعدد أشكالها. ويدرس البحث الواقع الاجتماعي والكوابح الاجتماعية التي فرضت عليها، فأصبحت المرأة غير مرسومة وغير مرئية. وتبدو صورتها في التاريخ والأساطير سلبية ونمطية. إن هموم المرأة تتوسل إلينا أن نقدم على وضع نهاية لهذا الواقع للمرأة، وأن نحلم بمستقبل أفضل لكل إمرأة. إنني وجدت كما وجدت الكثير من الروائيات القلم وسيلة هامة لطرح قضاياها والسعي إلى إيجاد حل ناجح شامل لهذه المشكلة الاجتماعية الهامة، وأن نربط همومها بهموم المجتمع، حيث أن معظم الكتاب والكاتبات يرون أن فن الرواية هو أكثر الفنون تأثيرا في الحياة الاجتماعية، وقمت بالتعبير عن جوانب الحياة البشرية المهمة مع ذكر كل تفاصيلها وجزئياتها وعلاقاتها وأحداثها. ويدرس هذا الفصل صراع العلاقات بين الرجل والمرأة التي ذكرته "ليلى الأطرش" في رواياتها، وقدمت لنا فيها صورة الشخصيات الذكورية الانتهازية، فلم تعر أي اعتبار لثقافتها ووظيفتها، بينما مثلت صورة المرأة جذابة التي تبدو ثابتة وصامدة أمام كل الصعاب والعقوبات. وتواصل مسيرتها نحو الرقي والنضج. وتتزود بكل الجوانب الأخلاقية الحسنة التي تصبح بفضلها قدوة ونموذجا في العطاء والسخاء والالتزام بالصبر واحترام الذات.

أما الباب الثالث: فلقد خصصت هذا الباب لقضايا نسوية فقط طرحتها الكاتبة في رواياتها. وإنه يتضمن ثلاثة فصول وخاتمة البحث. والفصل الأول يتناول قضايا

المرأة التي ناقشتها "ليلى الأطرش" في روايتها "إمرأة للفصول الخمسة". ويدرس هذا الفصل أهم قضايا المرأة الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية التي تهم المرأة والتي تترك في حياتها تأثيرا سلبيا أو إيجابيا. ويتناول الفصل الثاني قضايا المرأة في رواية "ليلتان وظل امرأة". ويدرس هذا الفصل وضع المرأة وجانبها الجنسي وتمردها على سطوة الرجل واستغلال سلطته لاحتلالها، ومحاولته لقمعها واسترقاقها. ويتناول الفصل الثالث قضايا المرأة في رواية "مرافئ الوهم" والذي يدرس ملامح المرأة العامة المتواجدة في هذه الرواية، ويدرس محاولتها لتحقيق ذاتها وتحقيق حريتها. وقد بدا لي في هذه الأثناء أن معظم الأدباء والكتاب باستثناء "ليلى الأطرش" لم يركزوا عنايتهم على أهم قضايا المرأة ومعاناتها التي مرت بها. وينتهي البحث إلى خاتمة تتمضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال متابعتي لدراسة هذا الموضوع. واتوقع أنني أكون قد تناولت جوانب هذا الموضوع وتمكنت من تحليل صورة المرأة وقضاياها بخالص نيتي ليعطي هذا البحث نتائج مثمرة.

وأخيرا أود أن اتقدم ببالغ الشكر والامتنان لمشرفي المكرم على ما زودني به من إرشادات قيمة، وآراء رائعة مفيدة،، وتوجيهات دقيقة في مهمتي الشاقة هذه، وبدون تعاونه ما كنت اتوقع تحقيق هذا الإنجاز، وكذلك أعبر عن شكري وتقديري لكل أساتذي وأحبائي وأصدقائي الذين قدموا لي اقتراحاتهم المهمة التي سهلت لي هذه الرحلة الشاقة للبحث والدراسة.

مهتاب عالم

مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جواهرلال نهرو نيو دلهي

21 / يوليو 2017

27 / شوال المكرم 1438

الباب الأول: ليلى الأطرش في ضوء أعمالها

الفصل الأول: مولدها ونشأتها وحياتها العلمية والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيتها

الفصل الثاني: إسهاماتها العلمية والأدبية في إثراء اللغة العربية وآدابها

الفصل الأول: مولد ليلى الأطرش ونشأتها وحياتها التعليمية

"ليلى الأطرش" هي كاتبة وروائية وواإعلامية ممتازة في العصر الحديث. ولها خدمات جليلة، وإسهامات رائعة في مجال فن الرواية، والقصص القصيرة والمسرحيات، وفي مجال الإعلام والصحافة. ولها مقالات عديدة، وبحوثات ودراسات كثيرة في التنمية والسياسة وغيرها أيضا.

مولدها ونشأتها وتعليمها والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيتها:

ولدت "ليلى الأطرش" في بيت ساحور في فلسطين في عام 1949م. وحصلت على شهادة بكالوريوس في الأدب العربي، وتخرجت حائزة على شهادة بكالوريوس في الحقوق. وحصلت على شهادة دبلوم في اللغة الفرنسية[1] وحاولت أن تكمل دراستها بعد المرحلة الثانوية في القاهرة، ولكن والدها لم يتفق على ذلك الاغتراب. وفضل التحقاها بجامعة بيروت فمن أجل تحقيق حلمها الأسري شجعت ابنتها على الالتحاق بالجامعة الأمريكية في القاهرة. وبدأت حياتها المهنية كإعلامية وصحفية ومذيعة. وكرست حياتها للدفاع عن الحقوق الإنسانية، وحمايتها وخاصة وقفت جزءا كبيرا من حياتها لحل قضايا المرأة ومشاكلها[2]، ورصدتها عن طريق كتابة رواياتها وقصصها القصيرة، وتقديم مقالاتها الرائعة، وبحوثها وتحقيقاتها الصحفية، وتقديم البرامج التلفزيونية. ثم بدأت في مناقشة معاناة المرأة من خلال كتابة المسرحيات واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وحطمت الكثير من التابوهات الاجتماعية، والسياسية، والدينية. وتقدمت إلى رفض التمييز الجنسوي والعنصري

[1] حوار مع ليلى الأطرش نشر في صحيفة دنيا الوطن في العدد الصادر 22 يونيو 2007م
[2] ليلى الأطرش ... ورواية الحياة – مجلة جهينة – مجلة ثقافية اجتماعية شهرية

والجور والظلم والاستغلال ضد النساء والأطفال. وتناولت قوانين الأحوال الشخصية وماخلفه الحروب والنزاعات والصراعات الإقليمية من أثر على نفسية المرأة، ومازالت تقوم برصد المؤثرات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية عند جماعات النساء في القرى والمدن التي تنتمي إلى مختلف الطبقات الاجتماعية والفكرية، عن طريق تقديم مقالاتها القيمة وتحقيقاتها وإعداد برامجها التلفزيونية الساحرة التي قامت بتناول الكثير من القضايا الشرعية المتباينة في رواياتها مثل قضية المحلل بعد الطلاق البائن في رواية "مرافئ الوهم" وقضية إجبار الزوج لزوجتها على الخضوع له في الفراش، رغم أنفها وبصرف النظر عن رغباتها وإرادتها في رواية "رغبات ذاك الخريف"، وكذلك طرحت قضية خيانة الرجل لزوجتها مع امرأة أخرى، وخيانته لوطنه والاتجار به. ودعت الشعب العربي إلى تمكين المرأة وتحريرها اقتصاديا في رواية "إمرأة للفصول الخمسة" مما أدى إلى عرقلة الحصول على جائزة كبرى في الأردن وفرض الحظر على نشر إحدى رواياتها، ولكن بعد مدة غير قصيرة ألغي الحظر وسمح بطباعتها بعد ضجة كبيرة، وكما سببت هذه الرواية إقالتها عن منصبها كإعلامية إثر برامج اجتماعية وحرمت من العمل والتصنيف والتأليف لمدة طويلة.

<u>ليلى الأطرش كإعلامية بارزة:</u>

وفي يوم من الأيام أصرها قريب إعلامي لها على كتابة مقال، فقبلت اقتراحه بعد بذله لجهد جهيد. وكتبت مقالا رائعا ولكن أثار هذا المقال ضجة كبيرة ألجأتها إلى اختيار مجال الإعلام والصحافة، وهي مازالت دارسة في السنة الأولى في جامعتها وإن أحد أساتذتها "جواد" مرقة طلب منها في دولة قطر أن تعد برنامجا تلفزيونيا وتقدمه، فإنها ظنت أن هذه فرصة لابد لها أن تغتنمها، وقررت الدخول إلى مجال الصحافة. وقامت بتحضير العديد من الدورات المكثفة في لندن وفي محطة تلفزيونية قطرية ومعهد التدريب فيها. إن ما شاهدته من الأحداث والوقائع في القدس وغزة وفي مناطق أخرى، أثرت على نفسيتها كثيرا وأحزنت ما حل بنساء وطنها

ونساء العراق والصومال ودارفور ومناطق الحروب الأخرى التي اندلعت فيها الصراعات والنزاعات وعانى الناس فيها من الفقر والبؤس وهموم وألام.

بدأت ليلى الأطرش في البداية في قراءة "روايات الهلال" و"الجيل والكواكب" و"روز اليوسف" و"طه حسين" و"العقاد" وروايات الكاتب "إحسان عبد القدوس" و"السباعي" و"الكاتب يوسف إدريس" و"يحيى حقي" و"نجيب محفوظ". وتمتعت بالاستماع إلى رواية "ألف ليلة وليلة" ثم قرأتها أيضا. وكانت تكثر من البحث والتحقيق والتجريب مع ذاتها. وأنجزت تطورا كبيرا ملموسا في ميدان تقييم أدواتها وتطويعها وتوسيع آفاق مداركها ومعارفها الإنسانية عن طريق الوسائل المتوافرة عندها. قالت "ليلى الأطرش" في حوار مع جريدة "هي تكتب دون أن تفكر فيما يفكر النقاد في كتاباتها، ولم يهم بالها قط أن تلاحظ ماتكتبه بدقة النظر، وتقوم بتقييم تطور البناء الروائي، أو جماليات النصوص، معتقدة بأن هذا كله مهمة من مهام النقاد والباحثين".

إن "ليلى الأطرش" كانت بدأت في كتابة قصص قصيرة، حينما كانت تدرس في المرحلة الابتدائية في جامعتها. وكانت نشرت هذه الأعمال القصصية في الجرائد والصحف والإذاعة[3] وفي هذه المرحلة نفسها، أدركت أن لها براعة كاملة وقدرة تامة على كتابة القصة والرواية وهي تعلمت كثيرا في مجال الصحافة والإعلام من فريقها الإعلامي الذي كان يعمل لدى وكالة الفيزنيوز، وكانت على رحلة مع هذا الفريق لتصوير برنامج خاص حول الجاليات العربية في لندن. وكانت تشاهد الكثير من الأفلام القديمة التي أعدت عن الحياة في الفترة الماضية، حينما كان الناس يبذلون جهودهم الحثيثة لاكتشاف النفط والبترول مما وسع آفاق أفكارها، وعزز قدرتها على القيام بتحليل الشخصيات والأحداث وفهمها جيدا.

[3] حوار نشر في جريدة الرأي الأردنية – جعفر العقيلى /www.lailaatrash.com/ar/node

بدأت "ليلى الأطرش" تفكر في كتابة الرواية "وتشرق غربا" حينما أدركت أن الركود السياسي قد تغلب على العالم العربي عقب زيارة بعض السادات للقدس وانقسام الدول العربية إلى عدة جماعات. ونشأت في خاطرها العديد من الأسئلة، حينما سلب من مصر دورها الريادي "كيف يمكن لشخص عادي أن يقاوم؟ وإلى متى سيدوم هذا الركود؟" هل هذا الركود الذي يشهده العالم العربي ضد الحركة البشرية أو التاريخية؟ وبأي سلاح يخرج الفلسطيني للمقاومة؟ إن الكاتبة قد رسمت كل هذه الأفكار والخيالات في روايتها الأولى "وتشرق غربا".

لاشك أن المرأة هي هاجسي جدا بيد أنها لم تتناول قضاياها بمعزل عن السياق الاجتماعي والتغير الفكري والسياسي والاقتصادي وما يخلفه من أثر على حياتها. وسعت ليلى إلى البحث عن منصة أخرى كونها إعلامية وصحفية كي تقوم بتقديم آراءها وانطباعاتها، ويمكن تفاعلها مع قضايا المرأة بشكل مباشر. اتهمت "ليلى الأطرش" في مرحلة كتابة الرواية الابتدائية بأن روايتها تنادي بالانطلاق، وأنها تعاني من التزمت، والعنف العائلي، وأن رواياتها تشجع القراء على اتباع الثقافة الغربية والبحث عن المال والثروة في أي حال من الأحول وبأي ثمن فتعرضت لنظرة اجتماعية وواجهت انتقادات لاذعة.

كتبت روايتها الأولى، وهي كانت في الصف الثانوي. وعزمت أنها سيتم نشر روايتها الثانية قبل نهاية سنة دراسية للمرحلة الثانوية، ولكن لم يتمكن من إنجاز حلمها هذا، حيث أن الناشر قال لها بأنها ليست شهيرة كافية، ولا بد أن تدفع مئة دينار لو تريد نشر روايتها، فشعرت بألم بالغ وتمزق قلبها، واعتقدت بأنها لن تستطيع أن تكون شخصيتها شهيرة إلا إذا استمرت الصحف والجرائد بنشر مقالاتها وقصصها. وعندما رأت أن اسمها قد نشر في الصحيفة فإنها لم تصدق عينيها وبدأت تدور بها وهي تمسك بها في يدها، وظنت أن العالم كله أصبح يعرفها وبعد ذلك توالت سلسلة نشر قصصها القصيرة، ومقالاتها الرائعة في الجرائد والصحف

دون أن يعرف الناس أنها لاتزال صغيرة في السن ولكنها كانت أيقنت بأنها قد أصبحت تمتلك قدرة مطلوبة على الكتابة، وهذا ما جعلها تتجاوز كل الاتهامات التي ألقيت عليها، فازدادت إيمانا قويا بقدرتها وملكتها وموهبتها. وإن والدها ثبت لها العون الأكبر الذي كان يثق بقدراتها ثقة كاملة، وكان يشجعها دائما مما دفعها إلى الخوض في العديد من المجالات بدون خوف. وصمدت أمام كل الصعوبات والعقبات بكل ثبات، وكذلك أيدها زوجها في كل خطواتها التي اتخذتها حتى أصبح سندا كبيرا لطموحاتها وتطلعاتها. وإن تقديمها لدورة البرامج القصيرة التلفزيونية في "بي بي سي" وإعدادها لمسلسلات درامية بعنوان "بيست سبللر" جعل شخصيتها عالمية، وأصبحت شهيرة جدا في الوطن العربي والدول الغربية كذلك. ورغم ذلك كله إن العنصر الديني مازال لديها عاملا مشتركا بين أكثر قصص النساء، وأخذت في حسبانها دائما أنها تنتمي إلى المجتمع الشرقي الإسلامي وهي تعيش والخوف معها بشكل مستمر من الله ومستقبلها والمؤسسات الدينية.

بدأت "ليلى الأطرش" بعد ذلك في ممارسة العمل الإعلامي مجددا في مجال الإعلام المكتوب والمقروء والمرئي من خلال استخدام الإذاعة والتلفزيون، وقدمت فيه برامج ثقافية واجتماعية وسياسية، فحصلت برامجها على الكثير من الجوائز. وونالت انطباعات تقديرية سارة، ثم وقفت حياتها لتقديم العديد من الدورات في وكالة "الفيزنيو" و"بي بي سي" في البرامج التلفزيونية، وقامت بإعداد الكثير من البرامج السياسية والاجتماعية. وعقدت البرامج الحوارية والتوثيقية والثقافية التي قدمت فيها دراسات وتحقيقات وأجرت حوارات مع كبار رجال السياسة والأدب.

حصلت " ليلى الأطرش" على الكثير من الجوائز نتيجة لجهودها المضنية في مجال الصحافة والإعلام والأدب. وأعدت "ليلى الأطرش" ثلاثين حلقة عن أمهات الكتب التي غيرت تيار الفكر الإنساني. وقامت بإعداد هذه الحلقات لتقدمها لمحطة "إيه آر تي". وتم تكريمها في عدة منتديات ثقافية عربية، وكذلك منحت عدة

جوائز تقديرية في الجامعات المغربية والتونسية واللبنانية والفلسطينية وجامعة بحرين وحضرت العديد من الندوات والمؤتمرات الأدبية والإعلامية العربية والدولية.

إن "ليلى الأطرش" بدون شك إسم كبير في مجال الإعلام والصحافة والأدب العربي، وهي تتميز بصفة الجرأة والبوح بالحق، وهي لم تألو جهدا في كسر التابوهات من أجل تحقيق حرية المرأة وحماية حقوقها. وأثارت في رواياتها وبرامجها التلفزيونية ومن خلال مشاركتها في الكثير من المؤتمرات والندوات التي عقدتها الجامعات الأردنية والمؤسسات العلمية العربية الأخرى مسئلة صحة المرأة الإنجابية. وتناولت قضية جرائم الشرف والعنف التي تمر بها المرأة العربية. وكذلك ناقشت حرية التعبير والرأي، وبدأت في بحث قضايا المرأة على موقعها الرسمي للفيسبوك والتويتر. وكذلك أعربت عن رأيها على الموقع الالكتروني "حوارالقلم .www Pendialogue.com كرئيسة تحريره وكرئيسة "القلم الأردني" "Pen Jordan"[4].

نشاطاتها العلمية والأدبية والاجتماعية:

قدمت ليلى العديد من المحاضرات القيمة في الجامعات الدوليه الشهيرة الغراء مثل جامعة شاتام في بنسلفانيا في عام 2008 م ونورث وست في شيغاغو ومانشستر في بريطانيا في عام 2006 م وجامعة ليون الثانية الفرنسية في عام 2004م وفي جامعة أيوا الأمريكية في عام 2008 م ووصفها الأدباء والنقاد بشجاعة وجرأة بعد تقديمها لمحاضراتها الممتازة لطلاب التبادل الأمريكيين في مركز اللغات في الجامعة الأردنية.

إن "ليلى الأطرش" أفردت مساحة غير قصيرة لمناقشة صورة المرأة في أكثر رواياتها ومن خلال دراستها، نرى أن الكاتبة قدمت صورة مختلفة ومتباينة للمرأة العربية، ونرى أنواعا متعددة من البيئات والمناخات التي قدمتها فيها. وتطرقت إلى علاقات الرجل بالمرأة التي تبدو مرة مضطربة، ومرة تبدو سارية في تيار واحد مع

[4]موقعها الرسمي على الإنترنت: www.lailaatrash.com

الرجل. قال الدكتور الناقد والمفكر الفلسطيني "فيصل دراج" إشادة بالكاتبة وإنجازاتها الروائية التي هي ممتدة على مدار خمسة وعشرين عاما في الأمسية الخاصة التي عقدتها مؤسسة عبدالحميد شومان في عمان "لا مجال هناك في هذا المدخل للحديث عن موهبة "ليلى الأطرش" ولا مجال فيه لتأمل اجتهادها ذلك، لأن المدخل المناسب يجمع بين الموهبة والاجتهاد معا وبين ما حاولته الكاتبة ونجحت في أعمالها القادمة". ويضيف الدكتور الناقد قائلا إن العالم العربي شاهد بين روايتها الأولى "وتشرق غربا" ورايتها الأخيرة "رغبات ذلك الخريف" روايات كثيرة وعشرون عاما وأكثر. قد يرى البعض الإبداع في الكثرة ولم يفكر في الكيفية فيكتب ويكتب ويكثر من كتابة أعمال أدبية ولا يغير في أعماله الابتدائية شيئا ويرى بعض آخر وهو منصف مصيب الإبداع في الإضافة الكيفية التي تتوزع على اتجاهات متعددة".

ومن هذا المعيار الذي يقيس به النص الأدبي من أجل التفريق بين الكثرة والكيفية، ويستطرد قائلا" أتت "ليلى الأطرش" بإضافة مبدعة حيث أنها لقد أضافت وهي تزداد اجتهادا بين عمل وآخر، ما هو نوعي إلى أعمالها الروائية في الفترة السابقة، وهذا يبرهن أن ما قالته في أعمالها الروائية السابقة، أعادت تقديمها بطريقة أفضل وبأسلوب أكثر روعة في أعمالها الروائية التي قامت بها بعدها". ويقول الدكتور"إذا كانت هناك في تاريخ الرواية بعض شخصيات ممتازة ينتسب إليها فن الرواية مثل مؤنس الرزار وإلياس فركوح فإن "ليلى الأطرش" قدمت بعد عشرين سنة من الأعمال التي تستوجب ضرورة انتساب فن الرواية الحديثة إليها، وهي قارنت بدون مساومة المحرمات الثلاث: السياسة والدين وقضايا المرأة في مختلف مستوياتها. وإن الإضافة الثالثة التي أتت بها "ليلى الأطرش" في فن الرواية هي نيتها الخالصة في الكتابة. وإخلاصها هذا للعمل الروائي ما زال ملتزما بها. وإن موضوعها الذي ركزت عليه اهتماماتها الخاصة في رواياتها، هو موضوع المرأة التي لايمكن تحرر المجتمع بدون تحررها، حيث أن تحرر المجتمع يقتصر على تحرر

المرأة من كل قيود المجتمع وتقاليده والموضوع الثاني الذي أشغل بالها هو قضية فلسطين والقدس وشعبها الوطني المقهور والمضطهد وسماسرة، تغيرت أوضاعهم التجارية والاقتصادية نتيجة لحدوث تحولات كبيرة في الفصول.

اختارت "ليلى الأطرش" الصحافة والإعلام لكشف الظلم والاضطهاد، الذي تمارسه سلطة المجتمع الأبوي ضد المرأة أو سلطة من يستغلون إسم الدين أو يحتج بالنظرة الاجتماعية القمعية العنصرية للعالم. وإن الكاتبة استمرت بمحاربة لعنة الفساد والاضطهاد والسطوة المستبدة، ولاسيما السطوة الذكورية التي لا تعد المرأة إلا جسما يخلو من الروح أو إحدى قطعات أثاث يملكها الرجل ويحق له أن يستغلها كلما يشاء.

قد تمكنت الكاتبة من تطويع عناصر الرواية واستخدامها في هذا الجنس، وتقديم إسمهاتها البارزة في هذا الفن الجديد. وظفت لغة شيقة وأسلوبا جذابا أظهرت فيه تطلعاتها الدائمة إلى العيش في أرض وطنها المستقلة الحرة، وحلمها المتكرر بتحرير المرأة من قيود المجتمع ذي السلطة الأبوية. أتيحت لها فرصة كبيرة للتجول، وزيارة الكثير من الدول الجديدة، ودراستها ومقابلة العديد من الضيوف الجدد والشخصيات البارزة لتقديم خدماتها في مجالات علمية وأدبية مختلفة. كانت "ليلى الأطرش" نهمة كبيرة في القراءة والدراسة والبحث والتحقيق منذ صغرها. وظفت كل الأماكن التي زارتها وذكرتها في إنتاجاتها الأدبية على سبيل المثال، وظفت اليمن التي أبهرت عينيها في رواية "صهيل المسافات" وكافة الدول الخليجية في رواية "امرأة للفصول الخمسة". إنها لم تحاول طرح قضية سيايية أودينية أو اجتماعية في روايتها الجديدة " رغبات ذاك الخريف " حسب ما رأى بعض النقاد، وذلك لإثبات الذات أوجذب الإنتباه إلى هذه القضية الهامة. هي كاتبة ممتازة هادفة، تلتزم بحماية الحقوق الإنسانية وكرامة الجنس البشري. ويرى بعض النقاد الآخرون أنها ألقت الضوء على كافة العيوب الإجتماعية، وكشفت تصرفات الرجال السيئة الذين

يتسترون بالديانة الإسلامية وشريعتها. وهي ليست من الأديبات اللواتي كتبن الروايات فحسب، بل هي ممن أبدعن في هذا الفن الأدبي. وقد نحجت "ليلى الأطرش" في مراقبة أوضاع المجتمع العربي، وسردتها في روايتها. وسعت إلى التجديد في الفن الروائي شكلا ومضمونا، وخاصة كتبت عن عمان وتاريخها الجديد في هذه الرواية مع ذكر الجغرافيا والتاريخ عن العهد ما بعد الألفية الثالثة أو العهد المعقد نتيجة لتوالي الأحداث التي تركت أثرا واضحا على الأردن وعمان بالتحديد.

استخدمت "ليلى الأطرش" في الشكل الأصوات المتنوعة ومختلف المناطق، وأحدث التقنيات، حيث تنوعت ضمائر الحكاية والسرد بين القاص العليم، وتقنيات الرسائل الإلكترونية، وأثارت هذه القضايا للمرة الأولى في تاريخ الأردن من حيث المضمون. وتناولت عدة طبقات اجتماعية لم يوجد ذكرها من قبل تتضمن الفتيات اللواتي كن يقدمن خدماتهن في صالونات التجميل، كما تناولت مسئلة الزينة عند النساء الأردنيات السائدة فيما بين القبائل الأردنية. وطرحت أيضا قضية بعض الشاب الذين يحلمون بالسفر إلى الدول الخارجية، مثل باريس وأمريكا ولندن في طريقة غيرقانونية. وظفت "ليلى الأطرش" كل ما وجدته في الكتب التاريخية وما رأته من البرامج والحلقات المنشورة على الفضائيات التي لعبت دورا بارزا في تكوين المفاهيم فيما يتعلق بالدين والسياسة والثقافة في عملها الروائي. ورأت أن بعض الشباب يستمدون من العديد من المفاهيم الدينية التي تم إذاعتها على الفضائيات الدينية التي أدت إلى توسيع نطاق الخلافات أكثر فيما بين الناس. وتناولت الكاتبة في روايتها مسئلة الإحباط والفشل الذي عانى منه الناس في حل المشكلة السياسية، وخاصة في استعادة عملية الأمن والسلام، وكما ناقشت الانقسام الفلسطيني وما تركه من أثر على سقوط الاتحاد السوفيتي وأثره على الجناح الأيسر العربي، وكيف أثر احتلال العراق على اقتصاد عمان وأوضاعها الاجتماعية. وكذلك طرحت في بعض منجزاتها الأدبية قصة الحرب والإرث الثقافي والاجتماعي، والخلافات الدينية

والحضارية، وتواجد التمازج بين الشرقيين والغربيين. أما قصة المرأة فنجدها تناقش حول هذا الموضوع في معظم رواياتها وإنتاجاتها الإبداعية. ومثلت النماذج المختلفة لبطلات رواياتها للجيل القادم، فمنها القوية والضعيفة والمتمردة والمثقفة والجاهلة والمناضلة. وأبدت الكاتبة من خلال بطلاتها ظلم المرأة ومسئلة سلب حقوقها منها في مجالات التعليم والثقافة ودراسة علم الاجتماع والقانون. وكذلك ذكرت الكاتبة عن المجتمع الذكوري الذي يسئ تفسير الدين ويخطئ فيه بهدف قمع المرأة واستغلالها. ونرى جرأة المرأة وشجاعتها جلية واضحة في رواياتها وهي تعد تحديا كبيرا للنظام الأبوي والزوجي.

الفصل الثاني: إسهاماتها العلمية والأدبية في إثراء اللغة العربية

بدأت "ليلى الأطرش" حياتها الأدبية منذ دخولها إلى عالم الأدب العربي. وقامت برصد معاناة المرأة العربية، وسردتها في أسلوب قصصي ممتاز. وكتبت تسع روايات، وخمس مسرحيات، وبعض كتب للقصص القصيرة. ونشرت مقالاتها الكثيرة وبحوثها وتحقيقاتها المتعددة في مختلف الصحف والجرائد في مختلف البلدان العربية. وأعدت العديد من البرامج والدورات التلفزيونية، وقدمتها بأسلوب جذاب. لقد اقتحمت " ليلى الأطرش" عن طريق أعمالها الأدبية، ومقترحاتها الصادقة الكثير من التابوهات، والمنظومات الإشكالية القيمة، وقامت بتقديم خدماتها البارزة في مجال الثقافة العربية، وإحياء أسماء كبار الشخصيات البارزة عن طريق إجراء حوارات معها. وقامت بإعداد أفلام توثيقية وتسجيلية حول رواد الأدب العربي والثقافة العربية، وأبرز الكتاب والشعراء، ورجال السياسة. وقابلت الكثير من رجال الفكر والسياسة في وطنهم العربي، وناقشت معهم العديد من أهم القضايا الإنسانية العربية من أهمها: استعباد الأطفال وعمالتهم واستغلالهم عند النزاعات لتدمير البيئة الإنسانية، وتمهيد الطريق نحو تهديد الصراع النووي للشعوب، واندلاع الفساد والعنف والتطرف الديني والسياسي والاجتماعي. ودعت الشعوب العربية من خلال أعمالها الأدبية إلى نبذ الخلافات الدينية والقبائلية، ووضعت نهاية للتطرف والعنف الاجتماعي والفكري عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي بهدف تعميم التسامح والتعايش السلمي، والقضاء على التمييز الجنسوي. ومازالت ولاتزال تعمل على إزالة صورة العرب والمسلمين النمطية وتغييرها التي تسود فيما بين كتاب العالم من خلال

الموقع الإلكتروني "حوار القلم" وموقعها الرسمي بصفتها كرئيسة لمركز "القلم الأردن" (Jordan Pen) (وهو أحد فروع المنظمة العالمية) من أجل الدفاع عن حرية المرأة. وجمعت مختلف الثقافات والديانات على منصة واحدة، وركزت عنايتها الخاصة على حماية حرية الرأي والتعبير، وحرية الفكر واستئصال تطاول الرجال على النساء المسلمات الدينيات، وإطلاع العالم على كبار الكتاب ورجال الفكر واللغويين العرب.

قدمت " ليلى الأطرش " محاضراتها الرائعة في عدة جامعات عالمية منها: جامعة شاتام في بنسلفانيا، ونورث وست في شيكاغو، ومانشستر البريطانية، وجامعة ليون الثانية الفرنسية، وأعطيت نوط الجرأة الأمريكي لإبداء جرأتها وشجاعتها على تقديم محاضراتها المميزة بين طلاب التبادل الأمريكيين في مركز اللغات في الجامعة الأردنية. وكذلك قدمت خدماتها في تحضير ملف الأردن في معجم الكاتبات النسوية الذي تم نشره في اللغة الفرنسية عن اليونيسكو في عام 2013 م.

إن الكاتبة الأطرش قامت بعملية النبش والتحقيق في تاريخ الأمم السابقة، وذكرت تفاصيل حضارتها وحياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في رواية "ترانيم الغواية" للتعبير عن المشاكل التي حطمت روحها وقلبها، وأغرقتها في الآلام والأوجاع. وقامت باستقطاب آراء الباحثين وكبار النقاد الذين اهتموا بجماليات الرواية ومضمونها وشكلها. ومن خلال هذه الرواية، قامت الروائية بسرد حكاية مدينة القدس و فتح خزائنها من داخل حيطانها التي مرت عليها الأيام الجميلة في الماضي، حيث كان يعيش الناس في أمن وسلام وهدوء. وتناولت الكاتبة قضية هجرة المسيحيين الذين نزحوا من فلسطين وتناولت العديد من القضايا الاجتماعية والثقافية في رواياتها بالبحث بطريق غير مباشر عن طريق شخصيات رواياتها التي تبدو تتفاعل في نصوصها الأدبية. قالت الكاتبة في مقابلة شخصية مع صحيفة دنيا الوطن "إن أكثر ما يؤلمها في قضية المرأة هو سلب حريتها، واستلاب حقها منها في التعبير عن

رأيها، واتخاذ قرارها المصيري. وهذا العمل التعسفي لا يزال يجري قرنا بعد قرن وسنة بعد سنة[5]. ترى الكاتبة أن فن الرواية يوفر لها مجالا موسعا لمناقشة قضايا المرأة وتناول العلاقة والصلة بين نسيج المجتمع والشخصيات التي تتفاعل بعضها مع بعض.

أكدت "ليلى الأطرش" أن إنتاجها الأدبي لم يهدف إلى تناول قضية المرأة، بل هي متواجدة في نص الرواية بعفوية. وأضافت أنها تناولتها في طقوس أنثوية نظرا لوجهة نظر المجتمع للمرأة العقيم التي لا تستطيع الإنجاب أو المرأة التي تريد الحصول على التعليم العالي في الجامعة والعمل في خارج البيت، وأن قصة "يوم آخر" تتحدث عن فتاة تتغلب عليها الخوف من أن هناك من يترقب تصرفاتها ويراقب حركاتها، وهي تعتقد أن شقيقها هو الذي طلب منه التقرب منها والذي يتعامل معها معاملة جافة سيئة. تناولت الكاتبة في بعض رواياتها قضية المرأة المتعارضة التي تعاني من قسوة المجتمع وتعسفه وظلمه واضطهاده في كل مرحلة من مراحل الحياة. وهذا العمل التعسفي يبدأ من العائلة وينتهي بصاحب العمل. إن الذكورة والأنوثة هما معيار مهم لكل أمر، مهما يتعلق بالانضمام إلى حزب أو طائفة أو الحصول على الوظيفة في سوق العمل، وهذا ما يؤرق المرأة، وينقل حياتها إلى كابوس مرعب مخيفب بالنسبة لها، وكما ألقت الضوء على أهمية التعليم في حياة المرأة، ومدى تأثيره الذي يمنح الإنسان قوة وطاقة، ويعلمه أسلوب عيش الحياة ويعلمه كيفية التعامل مع مستقبله، وهذه حقيقة لا تجحد ولا تنكر أن المرأة المثقفة تقدر على تحقيق أحلامها بالعمل الدؤوب بدون خوف من أي فرد من أفراد المجتمع سواء أكان ذكرا أو أنثى.

تناولت الكاتبة في رواية "مرافئ الوهم" المدن الأربع الرئيسية وهي بغداد والقدس و بيروت ولندن، وكلها عواصم ولكل منها أهمية تاريخية وثقافية وحضارية،

[5]صحيفة دنيا الوطنية الإلكترونية – العدد الصادر في 22 يوليو 2007

كما لكل منها تأثيرها على الأخرى. تحدثت فيها الكاتبة مظالم النظام الرسمي العربي الذي غدر وخدع قومه، ووفر كل مساعدته للأعداء الذين احتلوا هذه المدن التاريخية. إن بغداد هي مدينة لها تاريخ مشرق، وتعرف بثقافتها الثرية في كافة أرجاء العالم، وكانت تتمثل بذروة الحضارة الإسلامية في الزمن الماضي. قال فيها كبار الشعراء القصائد المتعددة وكتب في مدحها كبار الأدباء صفحات لا تعد ولا تحصى. ومنها انبثق نور العلم والمعرفة، ووصلت الثقافة العربية بفضلها إلى قمة الثقافة والحضارة المشرقة في الزمن الماضي. وكانت تعد منارة مضيئة للعلم والمعرفة والثقافة التي استضاء بها الجميع في العالم. لم تكن بغداد مدينة مهمة بالنسبة لنا جغرافيا فحسب، بل هي مهمة ومميزة تاريخيا أيضا. سردت بطلة الرواية قصة تاريخها المشرق الزاهر على عهد عبد الكريم قاسم وجامعة بغداد التي كانت تعد مرآة صافية تعكس كل ما كان يجرى في خارج أسوارها.

خدماتها في مجال الصحافة والإعلام المرئي:

بدأت الكاتبة "ليلى الأطرش" حياتها الإعلامية بصفتها كاتبة عمود، ثم ألقيت على كاهلها مسؤلية الاستعراض والتدقيق في أبرز كبرى الصحف والجرائد الأردنية، وصحف الدول العربية الأخرى بما في ذلك صحيفة الجهاد، وصحيفة القدس وصحيفة الدستور، وجريدة الخليج اليوم التي كانت تصدرها دولة قطر، والآن يتم إصدارها باسم صحيفة الشرق، وهي تكتب عمودا حول موضوع السياسة في كل أسبوع في جريدة الدستور منذ عام 2000 م التي تصدر عن الأردن، وكما تكتب مقالات حول موضوع الثقافة في مجلة عمان الشهرية، وهي إحدى أعضاء الهيئة الاستشارية فيها أيضا.

قدمت "ليلى الأطرش" خدماتها العلمية والأدبية في إذاعة الأردن ودولة قطر حيث كانت تعد البرامج وتقدمها، ثم دخلت إلى مجال الإعلام المرئي، وقدمت إسهاماتها البارزة في الأعمال التلفزيونية، وتم إذاعة الكثير من برامجها مباشرة على

شاشة التلفزيون، وكذلك أتيحت لها فرصة ثمينة لإعداد الأفلام التوثيقية. وجدت في حياتها فرصة قيمة لإجراء مقابلات مع كبار رجال السياسة وأصحاب الأدب والفكر والفن من مختلف أرجاء الوطن العربي. وفرت لها قناة إيه . آر. تي الفضائية فرصة لإعداد ثلاثين حلقة من برنامج "نادي الكتاب" مما جعلها تشعر بالاعتزاز والفخر. قد تم إصدار روايتها الأولى حينما كانت طالبة في المرحلة الثانوية العامة. انتزع منها دخولها إلى مجال الصحافة الخوف والرهبة من المؤسسات والمراكز، ومهد لها الإعلام المرئي طريقا نحو التعرف على تغير الأحداث اليومية والاطلاع على كافة التقارير والأنباء التي كانت تنقلها الوكالة، ولكن رغم تحقيق ذلك كله، لم تستطع التخلص من الكآبة النفسية بسبب الوضع الذي كانت تمر به ولكثرة دوامة العمل ومسؤلية تربية الأولاد[6].

نالت "ليلى الأطرش" فرصة قيمة في حياتها الأدبية والعلمية لإعداد البرامج الثقافية والسياسية والاجتماعية وقد تحقق لها نجاح كبير في هذا المجال، حيث نالت هذه البرامج قبولا واسعا على الصعيد الدولى وحصلت على العديد من الجوائز في مهرجانات الإذاعة، وقناة التلفزيون العربية. وقدتم إذاعة عدة دورات مكثفة منها على العديد من القنوات التلفزيونية العربية، وكما أتيحت لها فرصة لتقديم البرامج في وكالة "الفيزنيوز" وبي. بي. سي. وشاركت الكاتبة في طرح مشروع "مكتبة الأسرة" "والقراءة للجميع" في الأردن في سنة 2007م. وكانت متحدثة رسمية باسمه وكانت تقوم بمراجعة الأعمال الإعلامية أيضا.

إن بعض رواياتها وقصصها القصيرة ومقالاتها قد تم نقلها إلى عدة لغات عالمية منها: اللغة الانجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والكورية، والألمانية، والعبرية، والهندية، والتركية، وعينت بعضها في المقررات الدراسية في عدة جامعات عربية وأمريكية وفرنسية، وكذلك تم تحويل الكثير من منجزاتها الأدبية إلى مسلسلات

[6]مجلة جهينة العدد 60 تاريخ النشر 5 يناير 2015

إذاعية، وأدخلت بعض هذه البرامج في المقرر الدراسي أيضا في كليات الإعلام في جامعة عين شمس والجامعة اللبنانية.

لقد ذكر اسمها في تقرير التنمية الإنسانية العربية الرابع التي تنشر مقالات وتقارير عن المرأة المثقفة وخدماتها. وضم إسمها هذا التقرير إلى جماعة من الكاتبات اللواتي خلفن أثرا واضحا وملموسا في المجتمع البشري"[7] وكذلك عدتها جامعة أهل البيت وجامعة عمان الأهلية والجامعة الهامشية و"حركة شباب نحو التغيير" من أبرز شخصيات العالم الثقافية في الأعوام 2009-2010-2011. ولقد قامت المنتديات الثقافية العربية والجامعات المغربية والجزائرية والتونسية والأردنية واللبنانية والفلسطينية بتكريمها تكريما كبيرا في العديد من المناسبات والمهرجانات. وإن مجلة سيدتي التي نشرت في اللغة الانجليزية اختارتها في عددها الصادر في شهر ديسمبر عام 2008 م واحدة من أكثر ستين إمرأة في العالم العربي نجاحا[8].

ترى "ليلى الأطرش" أن الرواية هي وسيلة هامة لتخلق عالما يوازي واقعا سياسيا، وتعكس صورة الفرد في المجتمع. وتضيف قائلة "إن روايتها" "وتشرق غربا" تدعو إلى الانتفاضة الأولى التي قدمت فيها صورة المرأة الفلسطينية كإمرأة قوية تصمد وتصبر وقت احتجاز أبناءها أمام عينيها. وتقول إن المرأة لا يمكنها انفصالها من مكانتها ومحيطها ولا يمكن ابتعادها عن آثارهما عليها. ولا بد لها من امتلاك القوة كي تتحسن شخصيتها وتتطو.ر وكذلك لا بد لها من حراك اجتماعي وفكري ونفسي لاتخاذ القرار والموقف بكل حرية وبدون خوف.

[7] المصدر السابق
[8] مجلة سيدتي طبعة انجليزية لعدد ديسمبر 2008م

مؤلفاتها الأدبية:

- وتشرق غربا (رواية) 2 ط 1988، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
- إمرأة للفصول الخمسة (رواية) 1990، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، وقد تم اختيار هذه الرواية من أهم مئة رواية عربية في عام 2001م.
- ليلتان وظل امرأة (رواية) 3 ط 1996م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- صهيل المسافات (رواية) 3 ط 1999م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- مرافئ الوهم (رواية) 2 ط 2005م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- نساء على المفارق، أدب رحلات، جزء من سيرة ذاتيه 2010م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- رغبات ذاك الخريف (رواية) 3 ط 2010م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- أبناء الريح (رواية) 2012م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
- ترانيم الغواية 2 ط 2015م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. وتم اختيارها لجائزة بوكر العربية.
- يوم عادي وقصص أخرى 1992م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- مسرحية أوراق للحب 2012 م، (الناشر غير معروف)
- مسرحية البوابة 5 (سنة النشر واسم الناشر مجهول)

- مسرحية أحلام زرقاء اليمامة " للأطفال" (سنة النشرواسم الناشر مجهول)
- مسرحية قوارير العسل. (سنة النشرواسم الناشر مجهول)

الجوائز:

- حصلت "ليلى الأطرش" على جائزة الدولة التقديرية في الأردن لعامي 2014-2015.
- منحتها وزارة الثقافة الأردنية جائزة الإبداع المسرحي عن مسرحية بوابة 5 في الأردن في عام 2015 م .
- حصلت على "جائزة جوردن أوارد" واختيرت أحسن روائية أردنية لروايتها رغبات ذاك الخريف في سنة 2010 م .
- نالت منحة التفرغ الإبداعي الأردني لقدرتها الفائقة على الكتابة والتحقيق والتدقيق سنة 2008 م
- نالت جائزة الوسام الذهبي لإسهاماتها في إعداد البرنامج التسجيلي "عرار شاعر ثائر" في مهرجان دول الخليج العربية في البحرين سنة 1998 م .
- نالت جائزة الوسام الذهبي لتقديم خدماتها في إعداد "بقعة ضوء" عميد الأدب العربي طه حسين "حلقة من برنامج فكر وفن "في مهرجان دمشق" سنة 1996 م

العضويات:

- رئيسة الفرع الأردني لرابطة القلم الدولية (PEN JORDAN) للدفاع عن حرية التعبير ورئيسة تحرير مجلة "حوار القلم".
- عضو لجنة التحكيم لجائزة غسان كنفاني وقدمت لها دعوة للمشاركة في العديد من لجان التحكيم لجوائز عربية وأردنية.
- عضو مجلس إدارة ووكالة الأنباء الأردنية بترا.

- عضو الهيئة الاستشارية ومجلة أفكار منذ سنة 2012 م .
- عضو اللجنة الوطنية للمؤتمر الوطني الأول والمتحدثة الرسمية باسمه.
- عضو المجلس الأعلى للثقافة والمتحدثة الرسمية باسمه 2005-2007.

وإلى جانب ذلك تتمتع "ليلى الأطرش" بالعضوية في العديد من المنتديات الفكرية والروابط والاتحادات الأدبية كما شاركت في رسم خطة ثقافية لوزارة الثقافة حينما تم إلغاءها سنة 2005 م[9].

[9]المصدر السابق

الباب الثاني: صورة المرأة في روايات ليلى الأطرش

الفصل الأول: نظرة على روايات المرأة في فلسطين

الفصل الثاني: هوية المرأة وتمردها في روايات ليلى الأطرش

الفصل الثالث: صراع العلاقات بين الرجل والمرأة في روايات ليلى الأطرش

الفصل الأول: نظرة على روايات المرأة في فلسطين

تاريخ تطور الرواية النسوية في فلطسين:

إن تاريخ الأدب العربي يشير إلى أن المرأة العربية هي التي تعد رائدة فن الرواية التي بدأت في كتابة الرواية من أوائل العشرين. ومهدت الطريق لكاتبات وكتاب المستقبل نحو هذا الفن الأدبي الرائع. وقامت بالتعبير عن جميع الإشكاليات والأحاديث التي كانت سائدة في المجتمع. وإن المرأة هي التي قامت بنقل حرفة النسيج من جيل إلى جيل أخر[10].

لقد ظهرت القصة الفلسطينية الناضجة من حيث الفن مع اندلاع الحرب العالمية الثانية. وشهد العالم العربي إنتاجات قصصية في هذه الفترة للأساتذة: "خليل بيدس" و"محمود سيف الدين الإيراني" و"تجاتي صدقي" و"عارف العزوبي" ثم ظهرت إنتاجات "نجوى قعور" و"أسمى طوبى" كما كتب الدكتور"إسحق موسى الحسين الحسيني" و"الأستاذ د. عبدالحميد ياسين" و"جمال الحسيني" قصصهم في نفس الفترة وواصل "جبرا إبراهيم جبرا" إصدار إنتاجاته القصصية كذلك[11]. وظهرت رواية المرأة الفلسطينية إلى حيز الوجود بتأخير كثير بالمقارنة مع الروائيات من بلدان عربية أخرى، حيث أن الفلسطينية بدأت نشأتها متأخرة على يد "خليل بيدس" عن طريق روايته التي تم نشرها في سنة 1920 م. وعدت الروائية الفلسطينية "سميرة عزام" رائدة في فن الرواية، وهذه محاولة نسوية أولى في هذا المجال في فلسطين، ولكن إنتاجها الروائي لم يتمكن من رؤية النور، ولم يتم إصدار أعمالها الروائية إلا بعض أجزاء منها. ولقد تم نشر بضع صفحات من رواية سيناء بلا حدود "المحاولة المقصودة" في سنة 1964 م. ويروى عن هذه الرواية أنها أعربت عن أمنية لها في

---

[10]شعبان بثينة : 100 عام من الرواية النسوية العربية دار الآداب بيروت ط1 سنه 1999 ص 241

[11]ياغي عبدالرحمان – حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة – رسالة الدكتوراة – منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية بيروت 2001 ص 491

أن يتم نشر روايتها قبل أن يوافيها الأجل، حيث أنها بذلت جهودها الحثيثة فيها، ولكن الجهد لم يخفف من غضب صاحبة الرواية الذي كان قد تفجر بعد هزيمة حزيران 1967 م، فقامت بتمزيقها بانفعال شديد قائلة: "إن كل ما كتبته فقد معناه".[12]

والحقيقة أنه لم يتم تشكيل فن الرواية النسوية الفلسطينية إلا بعد زمن طويل وبعد تقبل الجمهور المتلقي لطبيعة تفاعلها الحر مع الرجل والمرأة حتى وقت الإعراب عما في نفسهما في مغامر الحب والعشق. وإن فلسطين لم تشهد حرية المرأة فعليا إلا بعد هزيمة حزيران التي كشفت عن حقيقة الثقافة العربية التقليدية المهزومة وعرتها، فشهدت اندلاع ثورات إبداعية عديدة، كانت من بينها ثورة بدأتها الروائيات الفلسطينيات في السبعينات بالتحديد، وتم تشكيل هؤلاء الروئيات بعد الهزيمة. ومن المستحيل تقريبا العثور على رواية لهن قبل هذه الفترة[13]. بدأت الكاتبة في الاهتمام بكتابتها بعد نكسة حزيران بشكل فعلي. وإن سلوى البنا هي أول روائية أعربت عن حزنها وغمها، وتناولت قضية هذه النكسة في روايتها التي تركت أثرا واضحا في مجال الصحافة الفلسطينية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية[14].

تعتبر الرواية النسوية العربية فنا جديدا ضمن تقاليد الإنتاج الأدبي[15] الذي تتبعها الروائية الفلسطينية على سبيل المثال، وبدأت الكاتبة من فلسطين في كتابة القصة القصيرة والقصيدة منذ الثلاثينات من القرن العشرين، كما بدأت في تقديم إسهاماتها في الأجناس الأدبية الأخرى مبكرة مثل المقالة، وإن السبب أساسيا يرجع إلى طبيعة الرواية كإنتاج أدبي.

فنظرا إلى أهمية الروايات النسوية وخصوصيتها وميزتها بالمقارنة مع روايات الرجل في فلسطين، لقد خصصت فصلا متفردا في رسالتي تناولت فيه تاريخ تطور

---

[12] أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسوية الفلسطينية منشورات مركز أوغريت الثقافي رام الله 2007 ط1 ص 6

[13] صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية – الباحث محمد أحمد القضاة ص 95

[14] عيسى الناعوري – مجلة أفكار- العدد الخمسون تشرين الثاني 1980م

[15] أبوبكر وليد : تجليات الواقع في الفن القصصي منشورات مركزأوغريت للنشروالترجمة رام الله 2003 ط1 ص 20-21

فن الرواية النسوية وخدمات بارزة لبعض أهم الشخصيات البارزة من الكاتبات النساء، فلاحظت أن الروائيين قدموا صورة المرأة النمطية في إنتاجاتهم الأدبية، فتبدو شخصياتها مهمشة. ولم يقدم الروائيون إطارا شاملا لشخصية المرأة فيها. وكانت هناك فيها إمرأة هامشية تركت أثرا واضحا على الأحداث في روايات بعض الروائيين منهم "أدمو شحادة" الذي قدم ذلك في روايته "الغيلان" والروائي "رافع يحيى" في روايته "الطريق إلى الصباح" فإنهما قدما صورة المرأة في روايتيهما كشخصية مركزية في أحداث الرواية، ولكنهما لم يتمكنا من التعمق كثيرا في شخصية المرأة، بينما أن الروائيات بذلن جهودا جبارة للقضاء على القيم الذكورية، فبرزت الرواية النسوية في فلسطين من أنوثة مسلوبة ردا على الذكورة المسيطرة في روايات الرجل.

لقد مرت الروائية الفلسطينية بتحدين هامين، تحدي الأنوثة وكونها واقعة بين مطرقة الجنس كامرأة في المجتمع الأبوي، وكونها واقعة بين سندان في أقلية قومية عربية في المجتمع الإسرائيلي. قالت الباحثة "أن ستينفينسون" إن الكاتبة تؤدي دورين غير منسجمين في كونها شخصية إمرأة أولا وفي كونها أديبة ثانية، فهي تطالب بصفتها إمرأة في المجتمع بتحقيق أسرة متساوية تسدد مطالب الرجل والعائلة، وتقوم بأداء الأمور المنزلية، فهذا أمر لا يهمها كثيرا كإمرأة، حيث أن كونها كاتبة بارعة شيئ إضافي، ليس له أهمية كبيرة في المجتمع، وهي ليست مطالبة بالتفوق والتميز على غيرها من الكاتبات فتبقى في حالة صراع ونزاع وتوتر بين القيام بهذين الدورين، الأمر الذي يترك أثرا سلبيا على نفسيتها، ويدمرها من الداخل، فإن قوتها الوجدانية تكمن في داخلها خوفا من أنها لا تسطيع الوصول إلى الكمال والنضج، فهي تؤدي مسئوليتها ككاتبة بشكل غير مكتمل. وتركز الكاتبة "فاطمة ذياب" عنايتها الخاصة على إبداء قهر يمارسه الرجل ضد المرأة في المجتمع الذي يسلب منها إنسانيتها. ويرى الروائي الفلسطيني "حسن حميد" أن الروايات الفلسطينية التي قامت بتناول قضية المرأة، مزدخرة في الأدب الفلسطيني بيد أن أهم صورتها تمثل

إمرأة مناضلة وسجينة تمارس الواجبات المنزلية، وترسم خطة ضد الأعداء والصهاينة. وإن هذه الصورة كشفت لنا حقيقة مريرة للسجون الإسرائيلية المظلمة، كما أشار الروائي إلى أن الروائيات الفلسطينيات أبدون صورة المرأة التي كانت تعاني من مختلف أشكال التعذيب والجور والظلم واستلاب الحرية الشخصية. وتنوه الدكتورة "حفيظة أحمد" أن بعض الروائيات من فلسطين أبرزن أشكالا متعددة من نضال المرأة مثل التمسك بالأرض، كما فعلت "أم الروبابيكا" في سداسية الأيام الستة لأميل حبيبي وترى الدكتورة أن هذه الأعمال الأدبية التي قامت بها الروائيات تمثل نموذجا جميلا للمرأة الفلسطينية التي تضحي بأولادها وتحرضهم على حماية الوطن وقومه، وتقول إن الرواية الفلسطينية تقدم نماذج رائعة للمرأة التي تتسلح بسلاح وتشارك في حركة النضال كشخصيتي "هناء وفجر" في رواية "البكاء على صدر الحبيب" "وحنان وشهد" في رواية "بوصلة من أجل عباد الشمس" وشخصية هند النجار في رواية "وتشرق غربا".

إن بعض كتب تاريخ الأدب العربي تشير إلى أن وجود روائية في المسرح الأدبي كان مفقودا في فلسطين في الفترة ما بين 1948- 1973 وكأن الجمود قد تغلب عليها نتيجة لوجود ظروف غير منسجمة في المجتمع الشرقي ضمن مجتمع كانت تعيش فيه في أقلية، ولكن نجد أسماء عدة كاتبات القصص القصيرة في تاريخ الأدب العربي من أمثال "نجوى قعوار" و"فاطمة ذياب" التي خرجت من حالة السكوت والجمود في روايتها "رحلة في قطار الماضي" التي صدرت في سنة 1973م، وطرحت قضية الجنس فيها بكل جرأة وبسالة عن طريق تقديم علاقة محرمة نشأت بين فتاة وعمها. وكسرت التابو ولكن نجد رغم جرأتها على إثارة هذا الموضوع الحساس إلا أن روايتها تخلو من تقنيات فنية، وبعد ذلك نجد أن "فاطمة ذياب" أصدرت روايتها بعنوان "قضية نسائية" في سنة 1987م، ومن ثم نهجت الروائية "آسيا شبلي" منهجها وأصدرت روايتها "الجزار" في سنة 1989م. وفي سنة

1994م أصدرت " شبلى " الروائية روايتها الثانية بعنوان "مواسم الهجرة إلى الجنوب" ورواية ثالثة لها بعنوان "سفينة نوح" وأصدرت الكاتبة "رجاء بكرية" روايتها "عواء ذاكرة" التي نالت قبولا واسعا بين الأدباء والدراسين والباحثين الذين تمتعوا بقرائتها كثيرا، حيث أن الكاتبة استخدمت فيها اللغة الشعرية، ونجد أن التقنيات الفنية والسردية في رواية فاطمة "الخيط والطزيز" التي تم إصدارها في سنة 1997 م ناضجة تامة. وكتبت الروائية سهير داؤود روايتين بعنوان "شبابيك الغزالة" في سنة 2000 م و"مدينة الرصاص" في سنة 2002 م، ثم في نفس السنة نجد أن الكاتبة "أسمهان خلايلة" كتبت روايتها تحت عنوان "آخر نفق" في سنة 2002 م ثم كتبت "رجاء بكرية" روايتها "امرأة الرسالة" في سنة 2006 م ونالت قبولا واسعا في أوساط الأدباء والنقاد، وبعد ذلك نجد أن "سلام عباسي" كتبت روايتها وأصدرتها تحت عنوان "جورية" في عام 2008 م.

إن الرواية النسوية الفلسطينية لم تقتصر على معالجة الواقع السياسي فحسب، كما نجد ذلك في روايات الروائيين الرجال في فلسطين، وإنما طرحت أيضا فيها قضية المرأة في مجتمع ذكوري، وتركت بصمات عميقة، وامتازت بخصوصية استخدام اللغة الأنثوية فيها. إن الروائية "رجاء بكرية" وسهير داؤود و"آسيا شبلي" و"أسمهان خلايلة" و"ليلى الأطرش" ناقشن موضوع الحب والعشق وكذلك تحدثن عن قضايا اجتماعية وسياسية وكل منهن وخاصة سلام عباسي و"ليلى الأطرش" دعتا إلى نبذ التمييز الجنسوي والدفاع عن حقوق المرأة.

أذكرهنا فيما يلى عدة نقاط هامة تميزت بها الرواية النسوية الفلسطينية:

<u>خصوصية الخطاب النسوي:</u>

إن خصوصية الخطاب النسوي وجمالياته في الرواية النسوية تبدو جلية واضحة، فظهرت صيغة المتكلم أكثر تداولا وانتشارا فيها، وهذا ما يلعب دورا هاما في خلق جو من المحبة والألفة في الرواية ويحميها من الرتابة الإيقاعية في بعض

الأحيان بسب حرارتها وصداقتها وتنوعها من لغة الأعماق ولغة المعيش. نجد أن بكرية تتكلم بلسان حال بطلة روايتها وهي تستخدم ضمير المتكلم في أكثر الأحيان. وردا على سؤال طرح لها عن سبب توظيف هذا الأسلوب: هل هناك إشارة إلى أن صاحبة الرواية تمر بأصداء معينة فأجابت "عادة أعتبر أن ضمير المتكلم أقرب إلى القارئ الذي يحمل معنى المشاركة أكثر من غيره من ضمائر أخرى، ولا أعتقد أن لهذا الضمير علاقة محددة بتفاصيل حياتي. نعم يهمني أن يتفاعل القارئ معي اعتقادا بأنني إمرأة أنثى وأن يفهم أن قضيتي لها علاقة بتاء التأنيث لأنني في النهاية أحاول أن أرسم قضية المرأة عبر نصوصي.

وهاهي "سعاد" بطلة رواية "رحلة في قطار الماضي" لفاطمة ذياب وهي تتحدث معنا تستخدم ضمير المتكلم عن والدتها "وأمي إمرأة ذات إرادة وشخصية قوية تعرف متى وكيف تفرض سيطرتها"[16]. وتتحدث "سهير داؤد" مع والدها وهي تتحدث مع نفسها تخاطب والدها بلسان بطلتها "غزالة" "وأخيرا مت يا أبي مثلما مات كل الناس ومثلما سنموت، أستطيع حتى أن أقول إن الكثير من الرجال قد حسدوك يا أبي حتى في الموت" [17].

تحدثت الروائية في رواياتها عن الذل والمذلة والقمع الذي تعرضت له المرأة في أشكال شتى وتتحدث عن رحلة المرأة في المجتمع الأبوي التي تنطلق حتى قبل أن تتكون في رحم والدتها "هكذا مرت الشهور الأولى حتى جاء يوم كانت فيه زوجة السيد مستلقية على ظهرها عندما أحسست بنقرة خفيفة تنبعث من أحشاءها. إنها الحركة الأولى .. تهللت بشائر الفرح في وجهها .. هذه الحركة لم تحسها من قبل بهذا الشكل .. إنها حركة تختلف عن حركات الحمل الأول والثاني وحتى الثالث والرابع... كانت الحركات في السابق تتشابه وكانت تعد نفسها من خلال الحركة

[16] رواية رحلة في قطار الماضي – فاطمة ذياب ص 42
[17] رواية شبابيك الغزالة – مطبعة دار الشرق عمان ص 10

لولادة الأنثى أما هذه النقرة المتميزة فتبشرها بصبي[18] .. فهي منبوذة قبل أن تولد وإن ولادتها تستقبل برفض في واقع ذكوري "خرجت باكية لفراق موطني الأول الذي ضمني تسعة أشهر.. موطني النازف دما لرحيلى .. لم يتوقف دمه حتى بعد أسبوعين عندما رفعتني الداية أصبحت رأسي إلى أسفل .. رأين عورتي .. لم تكن عورة .. بل كانت عورة شهقت أمي وجدتي .. بنت بنوته يا لطيف شو ها النحس هظ"[19].

نجد هذه الصورة نفسها للمرأة تتكرر عند الروائية سهير داؤو "جدتي كانت تطلب من أمي أن تدعو الله أن يرزقها البنين حتى نمشي مرفوعي الرأس معتزين بالذكور، وهكذا تستطيع أن ترد على ما تسمعين من وشوشات كلما مر بالحارة عن فقر العائلة بأن بنت رجال ولا بيت مال"[20].

إن حصار المرأة مستمر بعد ولادتها الذي لا ترغب فيه إمرأة، وبعد ظهور آثار أنوثتها بالنضوج تواجه حصارا أكثر شدة وتطرفا "أنت يا بنت لا تحسبي حالك صغيرة شوفي صدرك قديش صار هكذا في غفلة من الزمن في غفلة من أنفسنا وذاتنا.. كبرنا يا محمد أضحينا آدم وحواء .. وشوارب وصدرا وحتى نزفا ومع النزف وجدتني أعود إلى اللهاث إلى السدة .. إلى الحمام .. وأرتعش وأرتجف..[21]".

إن المرأة تعاني من حصار وقيود في تصرفاتها وأفكارها "كنت منتشية بخيالات بطلة من إحسان عبد القدوس كنت هائمة شبه نائمة والكتاب أوراق على صدري تنتصب لأجمل عزف قادم إليها .. من قلب مراهق في سنوات العشق الأول وتأخذني إغفاءة قد تكون قصيدة وقد تكون طويلة لأنتبه إلى صوت السيد يفزع أحلامي الملائكية .. لم تكن ملائكية "شو هاظ أنت بتقرئي لإحسان عبدالقدوس"..؟

---

[18] رواية الخيط والطزيز – دار الشرق للطباعة والنشر شفا عمرو ص 27-28
[19] المصدر السابق ص 32-36
[20] رواية شبابيك الغزالة – سهيرداؤود ص 19
[21] رواية الخيط والطزيز ص 86

وتناقش "أسمهان خلايلة" في رواية "آخرالنفق" حول القهر الشديد الذي تعاني منه المرأة من قبل الرجل "إنه يبعث فيها الشعور بالقهر الشديد فتختنقها الكلمات .. ماذا ستقول له الآن لقد ضربها بالأمس بصحن البطاطا.. يدها مازالت زرقاء إثر الضربة وسب أباها وأهلها والساعة التي رأى فيها خلقتها .." [22] .

ومن هنا يبدأ تمرد الكاتبة إعلانا لرفضها لهذه الإهانة والقمع الجنسي والفكري.[23] وهذه القيود على لسان المرأة ثم على عقلها ثم على أفعالها كانت تعتبر ضرورية لعملية القمع الجنسية لتخضع المرأة رغم الطبيعة لنظام الأسرة الأبوية والزواج بالرجل الواحد "الأب للأطفال" ولم أجد أن المرأة أنكرت حاجتها إلى الرجل غير أن تمردها يكمن في رفض التسلط الاجتماعي المبني على أيدولوجية بطريكية، وذلك لأن شعور المرأة بالحاجة إلى الرجل هو طبيعي، ولكن هذه الحاجة تتحول إلى نوع من الاستلاب في المجتمع الذكوري الوحشي[24].

إن الطزيز يمثل دور المرأة والخيط هو العقبات والتقاليد المرسومة التي تحاصر المرأة من كل جانب.[25] وبالرجوع إلى دراسة الروايات النسوية، نجد أن الشعور بالقمع والقهر لدى المرأة يلازمها دوما في بداية الأمر، حينما تذهب إلى بيت زوجها بعد الزواج أو حينما تعيش في بيت والدها. ويترك هذا الإحساس آثارا سلبية عميقة على نفسية المرأة، فنرى في أكثر الأحيان أن المرأة لا تسمد قيمتها إلا بمساعدة الرجل ومن خلاله، فإن المجتمع لا يحترم المرأة إلا بالقدر الذي يحترم به الرجل زوجته، ولكن تبدو عاجزة عن الحصول على قيمتها التي تستحقها[26]. ونجد في روايات "آسيا شبلي" أنها تقوم بالتعبير عن هموم المرأة المطلقة. تتردد المرأة في اتخاذ قرار الطلاق كثيرا، حيث أنها تعرف أن المجتمع لن يرحمها ويجب عليها

---

[22] رواية أخرالفندق – أسمهان خلايلة – دائرة الثقافة العربية للطباعة والنشر- الناصرة 2000 ص 46

[23] الأنثى هي الأصل – نوال السعداوي – مكتبة مدبولى القاهرة ص 157-159

[24] المرأة في كتابتها – أحمد جاسم الحميدي – دارابن هاني دمشق

[25] رواية الخيط والطزيز ص 45

[26] سيكولوجية المرأة – ناهد رمزي – دارالنهضة العربية القاهرة ص 245

الالتزام بالصمت على خيانة زوجها وتتحملها وإذا نوت اتخاذ قرار الطلاق والانفصال منه، أصبحت سلعة تجارية رخيصة "سأخرج إلى الحياة ! سأعيش ! سأسقي ذبولي وأنمي ضعفي وسأكون امرأة تقول لا .. تقول نعم .. امرأة لها وجود .. أي وجود حتى لو كان وجود الشيطان .. لتكشف في نهاية المطاف أن وجودها تعتبر مطلقة تسلط عليها الذئاب من مجتمعها عيونها، ولا ينظر مجتمعها إليها بنظرة الاحترام، ويجب عليها أن تكون مستعدة لتحمل كل المشاكل لتكون ضحية مثل غنم على يد الجزار.[27] وإلى جانب هذه الروايات، هناك عدة أسماء بارزة للكاتبات الفلسطينيات منها "عدينة شبلي" التي أصدرت روايتها الأولى" المساس" في عام 2002 م في بيروت، وتم ترجمتها إلى اللغات العالمية العديدة بما في ذلك اللغة الفرنسية. إن بنية هذه الرواية تحمل طابعا غير كلاسيكي، ونلاحظ أن كل أعمالها الأدبية تبني على لقطات ولحظات زمنية، استخدمت فيها كلمات رشيقة ولغة سهلة الفهم والإدراك، قصيرة الجمل، سريعة التأثير، تتواجد فيها مراوغة عالية في التعبير عن الموقف والشحنات العاطفية بأنواع شتى. ولم تنتهي الكاتبة من كتابة هذه الرواية إلا بدأ كبار الشعراء والكتاب يهتمون بها، وفي مقدمتهم الشاعر الجليل "محمود درويش" الذي طلب منها أن تكتب في دورية "الكرمل" التي كان يرأس تحريرها ويتم إصدارها من رام الله، وكذلك طلب منها كتابة الرواية والقصص القصيرة باستمرار. كانت الكاتبة تتقن اللغات الإنجليزية والعبرية بيد أنها فضلت كتابة الرواية في لغتها الأم. إن هذه الكاتبة حصلت على جائزة الرواية الفلسطينية للشباب مرتين في مجال هذا الفن. وكذلك أنجبت فلسطين الكاتبة سحر خليفة وهي إحدى أبرز الروائيات الفلسطينيات. ولدت في نابلس في عام 1961م وتخرجت حائزة على شهادة بكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بيروت. وشغلت في نفس الجامعة كمديرة للنشاطات الثقافية لمدة ثلاث سنوات وكمديرة لدائرة العلاقات العامة. وبعدها حصلت على شهادة

[27] رواية الجزار – أسيا شبلى ص 33

الدكتوارة في موضوع "دراسات المرأة والأدب الأمريكي". ووقفت حياتها للتأليف والكتابة. كتبت روايتها الأولى" لم نعد جواري لكم" في عام 1974م وأثارت في هذه الرواية قضية حرية المرأة التي سببت انفجار ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية. أصدرت حوالي ست روايات ولكنها نالت شهرة كبيرة على الصعيد الدولي في الأوساط العلمية والأدبية بعد كتابة روايتها "صبار" في عام 1976م. وتم نقل هذه الرواية إلى عدة لغات عالمية أخرى أيضا. عبرت هذه الروائية البارزة في كتاباتها عن هموم المرأة وأحزانها ودافعت عن حقوق المرأة وحريتها التامة. ترى الكاتبة أن نضال المرأة الفلسطينية وقضية الطلاق والزواج والتمييز الجندري أهم أجزاء النضال السياسي الفلسطيني من أجل تحرير وطنها من مخالب الاستعمار الإسرائيلي.

ملامح السيرة الذاتية في روايات المرأة الفلسطينية:

نلاحظ من خلال دراسة هذه الروايات النسوية الفلسطينية أن بطلتها تتمتع بالملامح والمواصفات الثقافية نفسها التي تتمتع بها الروائية، فنلاحظ أن "فاطمة ذياب" في روايتها "في مدينة الريح" تقول "خمسون أيلولا يا صديقي المرهق جدا .. خمسون ألف ألف نزف، وفنجان قهوة من غير سكر، وعليه سجائر جلدية ولاعة ومنفضة، وأوراق مبعثرة وبعض أقلام ملونة[28]. ونحن نجد كأن البطلة تتحدث بلسان حال الكاتبة "فاطمة ذياب" فإنها حتما كتبت روايتها التي أشعلت خمسين شمعة من شموع حياتها.

إن الكاتبة تؤكد لنا أنها هي التي تؤدي دور بطلة روايتها إذا تتحدث عن مهنة عانت منها في حياتها " قال أنا جائع وأنت كذلك ما أكلنا منذ الصباح .. ماذا أطلب لك؟

قلت : إن كنت مصرا رغيف فلافل

[28]رواية مدينة الريخ – فاطة ذياب

قال : ندخل إلى مطعم ونأكل "فلافل"؟

قلت : ماذا بها الفلافل؟ لا تسخر من أقاربي؟

سأل : أقاربك من؟

قلت : هل نسيت؟ بيني وبين الفلال قرابة"[29].

فمن خلال دراسة هذه الرواية نجد أن "فاطمة ذياب" بالإضافة إلى كونها روائية فهي تبيع فلافل أيضا. ونجد لدى الروائية "رجاء بكرية" أن هناك يوجد تداخل يشبه دورها في روايتها "امرأة الرسالة" إنها امرأة روائية وفنانية تشكيلية ماهرة[30]. إن المرأة تواجه في مراحل حياتها المختلفة تغييرات كثيرة تؤثر على نفسيتها. ونجد في هذه الروايات أن الكاتبات حاولن التعبير عن مشاعر مختلفة وأحاسيس متعددة تشعر بها المرأة عقب هذه التغييرات الجسيمة. وإن الروائي يصعب عليه أن يعبر عن هذه الأحاسيس على مستوى التجربة، لأنه لا توجد لديه خبرة في هذا المجال. وهذه التغييرات هي الطمث والحمل والمخاض والولادة وفترة توقف الطمث. ذكرت "رجاء بكرية" بعض هذه الأحاسيس التي تتجربها المرأة ولا يحس بها إلا المرأة "تحدث الأيام من المرحلة الابتدائية وللحب فورة العشق وتشعر المرأة أنه يشتهي من يحتويه وتخرج منه رائحة حنا معتق لا تفهمها تحت ملابسها"[31].

إن المرأة تشعر بضرورة الاقتراب من جسد الرجل أكثر بكثير في هذه الفترة، ولن يشعر بذلك إلا المرأة . وتعبر الكاتبة سلام عباسي عن شعور المرأة وقت كونها أما "أمومتي طغت على كياني كامرأة"... أحسست أنني أم وفقط أم... نسيت حماستي في العمل، أهملت مظهري الخارجي بعض الشيئ فلم يعد في سلم

[29]رواية شبابيك الغزالة – سهير داؤود – مطبعة أبوحمون عكا سنة 2000 ص 52
[30]رواية امرأة الرسالة دار الأداب بيروت ص 195
[31]رواية امرأة الرسالة – رجاء بكرية ص 232

أولوياتي... ولاحظت من حولي ذلك... عريبة هي الأمومة هي مشاعر تطغى على كل شيئ فعندما تستحيل المرأة أما فإنها تنسى نفسها تتجاهل أنوثتها وتكون أما"[32].

اختراق الثالوث المحرم:

يطلق مصطلح الثالوث المحرم على ثلاثة مواضيع تميزت الكاتبة فيها بالجرأة في مناقشة هذه القضية. وكان قد فرض الحظر على العديد من الكتب والروايات التي ناقشت أحد عناصر الثالوث بجرأة. وتكمن هذه العناصر في الدين والسياسة والجنس. لقد تم فرض الحظر على الكثير من الروايات التي لمست هذا الموضوع ووصموها بالكفر والوقاحة المستفزة. ونجد هذه الظاهرة في العالم العربي على نطاق واسع فلاحظت في رواية عفاف بطانية "خارج الجسد" التي طرحت علاقة الرجل بالمرأة وسلطة الرجل على المرأة التي سببت جدلا كبيرا حولها لإبداء الجرأة فيها.

وإن "ليلى الأطرش" أثارت في روايتها "مرافئ الوهم" مسئلة الثالوث المحرم وتناولتها بالبحث ومنعت رواية "رجاء بكرية" لمدة طويلة في الوطن العربي من الكتابة وأثارت رواية "رحلة في قطار الماضي" في عدة سنين ثورة اجتماعية عارمة أدت إلى حظر الكاتبة من الكتابة لمدة تزيد على عشر سنين[33]. إن العوامل التي دفعت المرأة إلى معالجة موضوع الثالوث المحرم هي ممارسة نضالها لتضمن حقوقها وتهدم جدار الظلم الاجتماعي الذكوري فنجد أن الراوائيات طالبن عن طريق رواياتهن باحترام الحريات الفردية وتؤكد الباحثة إيفيلين أكاد أن ضمان الحقوق الجنسانية للمرأة يشكل محفزا للتقليل من الصراعات والحروب الجنسانية.[34]

مفهوم الجنس والحب لدى كاتبات الرواية الفلسطينيات:

أثارت الروائيات الفلسطينات في إنتاجاتهن الروائية موضوعات جنسية بكل جرأة. واستخدمن فيها لغة شعرية وقليلا ما نلاحظ ذلك في التعبير عن هذه العلاقة

---

[32]قصة محمد شكري – العنف على الشاطئ- مجلة الأداب اللبنانية سنة 1966

[33]حوار مع الروائية فاطمة ذياب – مجلة الشرق – مجلد 32 سنة 2002 ص 19

[34]Evelyne Accad Sexuality and War Litrersry Masks of the Middle East New York P-11- 27-

في روايات الرجل. "عندها فقط تركته يحتضنها كما يحب من خاصرتيها يعض حلمة نهدها الأيمن ونثرها فوق السرير كحفنة ورد وظل يغمس أصابعه العشرة في سكر رحيقها ولا يمل"[35] .

إن "رجاء بكرية" ترفض أن تعتبر الجنس مادة مبتذلة في الأدب. وأضافت قائلة: إنه أحد تجليات الجسد، أرفع صور تعكس شفافيته، وبهائه، والفكر في لحظة تفككه البطئي، وانتفاضه والخيال على ورق حرائقه. نلاحظ أن السرد الشاعري الرومانسي الذي يمثل علاقة غرامية بين كائنين خلقا لبعضهما في روايات "رجاء بكرية"، ونجد فيها أسلوبا مختلفا ومنهجا آخر في تناول الموضوع في روايات "فاطمة ذياب" فإنها تقوم بتصوير عقد نفسية وجنسية تتعرض لها المرأة بسبب علاقتها بالرجل ووقوع حياتها في يدي السيد الأب تحت جبروته الطاغية مما يولد خوفا في نفسها من قمع الرجل وقهره واقتحامه لها في ليلة أولى تجتمع فيها بعضها مع بعض، فتحس المرأة بقهره حينما تمر بامتحان عذريتها، وكشف ذلك للجمهور والملأ. وهذا شعور يزعج المرأة ويثيرها غضبا ويجعلها تشعر بالمهانة والاحتقار "ليلتنا كانت لنا.. بل لم تكن كذلك .. حملها معه في الصباح الباكر على طبق من قش ضحكته اخترقت جدار البيت الكبير.. كذلك ضحكة الأسرة الكبيرة .. كانت متأكدة أنه سيقوم بتقديم تقريره الخاص.. التقرير النازف دما كي يحصل على امتياز الرجولة والبطولة وظللت أنا العروس فوق سريري لا أعرف ما المطلوب مني.. أأظل نائمة متناومة أم أنضم لجلسة "الصباحية" وأتفجر.. ألف غضب فوق غضبي.. لماذا كل ذلك لو لم تكن حكاية السيد والخواجا الكلب هل كان سيفعل هذا؟ بل كنت أسمح له أن يفعل هذا؟.. أبلع ألمي وثورتي وغضبي وأتساءل إلى متى أبلع هكذا. ومتى يحين موعد القذف ..؟ لابأس يأتي هذا اليوم أنا واثقة من أنه سوف يأتي وأقذف

[35] رواية امرأة الرسالة ص 205

الغطاء كأني أقذف كل ما بداخلي من بطولة العذرية المطلقة[36]. لاحظت تقديم عذرية المرأة إلى الجميع واقتحام خصوصتيها في الكثير من الروائيات وهذا ما يجعل المرأة تشعر بالمذلة والمهانة كأنها واقفة أمام الجميع وهي عارية وهم يحدقون النظر إلى جسمها.

إن الروائية سهير داؤود في روايتها "مدينة الرصاص" تتكلم مع الحب بشكل سري وتقول "سلام عليك أيها الحب الجميل تركت لك القلب مشرعا للعذاب وللرحيل فاترك على شفة الفراق بعض حبات مطر."[37] ونجد فيها أن "رجاء بكرية" تسأل بلسان بطلة روايتها "نشوة" هل أحببت بتلك القوة دون أن أعلم؟ بلاعقل كنت حين بحثت ولم أعثر علي إلا فيك".

حينما تعشق إمرأة تفقد نفسها ليس الفنانون وحدهم إذن ! أيجوز إلحاق النساء العاشقات بقائمة الخارجيين عن طوق الحياة، لأنهن مثلهم يصبحن جسرا لعبور الأضواء الخاطفة؟" إذا وقعت المرأة في حب رجل، فإنه يكون له كل حياتها، بينما إذا وقع الرجل في حب إمرأة، فإنها تعتبرها أحد أجزاء حياته[38]. إن المرأة لا تجد سعادة الحياة إلا في حب الرجل "أنا إمرأة حساسة جدا، وأنت خير من يعرف ذلك أردت منك طوال الفترة السابقة أن تشعرني بأنوثتي .. بكياني كامرأة كلمة رقيقة كانت ستؤدي المهمة .. دعوة إلى عشاء رومانسي .. عناق ساخن في نهاية يوم شاق لم أطلب الكثير. كان يكفيني أن تضمي إلى صدرك تلاطف شعري وتشعرني بدفئك وحنانك"[39].

<u>الأمور السياسية:</u>

ناقشت الروائيات في فلسطين الظروف السياسية التي مررن بها، وقمع الاحتلال ووجودهن كفلسطينيات عربيات يحملن الجنسية الإسرائيلية وأكدن في

[36]رواية مدينه الروح – ملحقة في مجلة الشرق – العدد الثالث المجلد 32 سنة 2002 ص 67
[37]رواية مديه الرصاص ص 87
[38]رواية امرأة الرسالة ص337
[39]رواية جورية – سلام عباسي – دار الهدى للطباعة والنشر 2008 ص 94

رواياتهن أن الوعي الفكري السياسي عند المرأة الفلسطينية ليس أقل منه لدى الرجل. وإن الخوف من حصولهن على مناصب عالية يحمل القيادات الاجتماعية والسياسية إلى استبعادها دائما[40]. فرغبت الروائية في مناقشة الأوضاع السياسية وأدركت أن الوقت قد حان للخروج من بوتقة الذاتية.

إن "رجاء بكرية" حاولت إيضاح معاناة الشعب الفلسطيني وازدواجية يعيشها في فلسطين وهي تبدي رأيها في ذلك "الحدث السياسي في الرواية" موضوع مركزي وحاول أن يرصد وضع الشعب الفلسطيني في إسرائيل هي تقول "تكلمت في روايتي عن ألمي الشخصي وهذه هي المرأة الأدبية حينما أجد نفسي شريكة في رسم هوية حسية فكرية لانتمائي القوي وصراعاتي الوجودية لم أفعل في أعمالي السابقة"... وتبدي "رجاء بكرية" رأيها في روايتها هذه وتتحدث بلسان حال بطلة روايتها "نشوة" "لاأعرف إذا كان الفلسطيني هنا محسوبا على دولته كإنسان بلقب يبكي ويضحك وحس يتألم ويفرح لم أشعر لحظة واحدة أنني داخل تعريف المواطنة التي منحوها لنا منذ رفعنا الأعلام البيضاء ولا أنت وبطاقتي الزرقاء لم يقرؤوها على الحدود دون أن يصنفوني ضمن خلية الإرهاب التي يدرسون أوصافها وفق معايير العرق والدين والانتماء و يسجلون المعطيات ثم يقررون وسيلة الاستنزاف".[41]

تتحدث سهير داؤود في روايتها شبابيك الغزالة عن مسألة الإزدواجية التي يمر بها الشعب الفلسطيني في وطنه، وتتكلم عن عيد الاستقلال الذي احتفلت به دولة إسرائيل. إن تحرر دولة إسرائيل واستقلالها هو يوم حدوث نكبة للشعب الفلسطيني فإن بطلة الرواية الصغيرة "غزالة" تجد تناقضا حولها، فيحتفل اليهود بهذا اليوم. وهناك عرب ممن اختاروا الأسرلة طريقا لهم يحتفلون به أما هي فهي تنتمي إلى عائلة شيوعية وطنية ترفض الاحتلال به. "وشعرت بالحسرة حين تذكرت أن في

[40] المرأة والصراع النفسي – نوال السعداوي – مكتبة مدبولى القاهرة سنة 1983 ص 63
[41] رواية شبابيك الغزالة ص 50

الغد يوم "عيد الاستقلال" سيذهب الجميع مع عائلاتهم إلى النزهات والرحلات أما نحن فلن نذهب إلى أي مكان ولم أكن أفهم لماذا تختلف أعيادنا عن أعياد باقي الناس؟".

أشارت فاطمة هنا في روايتها "الخيط والطزيز" عدة مرات إلى يوم النكبة التي حدثت في عام 1948م فاندفعت أم محمد ثانية تشرح الحكاية من لحظة الاقتلاع من أرض الدامون .. إلى لحظة المداهمة في الليل، وأخذ أبي محمد ليكبوه بره". وطرحت سلام عباسي قضية انتفاضة الأقصى. وأكدت اتصال الشعب الفلسطيني بالضفة وقطاع غزة. هم فقدوا أقاربهم وأولادهم في هذه النكبة الذين حاولوا الدفاع عن وطنهم فلسطين "وشاءت الأقدار وحيكت حيلة سوداء ثانية .. كانت هذه المرة من نصيب تشرين فأمسى لنا تشرين الأسود. هبت انتفاضة الأقصى في تشرين الأول في عام 2000 م وإن عملي كمراسلة زجني في وسط الأحداث كانت المواجهات بين المتظاهرين وأفراد الشرطة ساخنة جدا. كات تتسم بظاهرة جديدة اختلفت عن سائر المواجهات التي شهدناها أو نقلنا أحداثها وكانت ثورة الجماهير تضرب من قبل أفراد الشرطة بيد من حديد.

<u>الأمور الدينية:</u>

ليس من الممكن أن نفصل الدين عن الجنس، فإن الجرأة في استخدام الجنس تعتبر خرقا للدين. إن رواية "فاطمة ذياب" الأولى "رحلة في قطار الماضي" أثارت حفيظة رجال الدين التي تناولت موضوع علاقة محرمة نشأت بين فتاة وعمها وولد منهما طفل، فقامت فاطمة باختراق عنصرين هامين من عناصر الثالوث المحرم: الجنس والدين والسياسة وإن بطلة الرواية "سعاد" مثلت دور إمرأة ضعيفة ليست لها أهمية ولا قيمة في مجتمع ذكوري. "وتعددت لقاءاتنا على السرير وفي بيته وفي بيتنا و في كل مكان يخلو من الرقباء .. على الشعب الأخضر تحت ظلال شجرة خائنة كل هذا يدفعنا إليه جسد أصبح عبدا لشهواته العنيفة.. لم توفقنا الليلة الحمراء عن

المضي في طرق الضلال بل أيقظت إحساس الشهوة ولذتها في كل جزء على جسدي، فبت أترقب الوصال الدنس وأتوق إليه في كل يوم وحملت بين أحشائي جنينا لم أشعربه إلا عندما راح يتحرك في بطني وكأنه ينبهني إلى وجوده وإلى حظورة الموقف[42].

توظيف اللغة الشعرية الأنثوية في الروايات النسوية الفلسطينية:

لاشك أن التداخل بين الشعر والسرد هو إضافة الثراء إلى نصوص أدبية ويعطيها قوة تعبيرية، فإن النصوص تمثل نموذجا مختلطا توجد فيه جماليات كل نوع، فنجد العديد من الروائيات اللواتي قمن بتوظيف المجاز والتشبية، وامتازت رواياتهن ببناءها الفني واللغوي الذي يختلف عن اللغة التي استخدمها الروائيون لأن المرأة تحمل حساسية عالية رفيعة من حيث اللغة والتعبير وتتمتع بمصطلحات شعرية، لذلك نجد أكثر الروائيات تتمتعن بميزة الإتقان في خلق تداخل وانسجام وتكامل شعري وسردي ويحملن ملكة لتحقيق تفاعل تام بكل سهولة يخرج منها لغة حقيقية وهي لغة المرأة التي تظهر مرآة المرأة الداخلية الصافية بكل شفافية مثل شفافيتها.

ترى الباحثة لنجا أوبانك (Langa Ewabank) أن لغة المرأة تختلف عن لغة الرجل في عدة أمور، وأهمها توظيفها للجمل القصيرة التي لا ترتبط بعضها ببعض، وكأنها تحمل بحرا من الكلمات في داخلها. "وأطبقت دفتي الكتاب بعنف على أنفاسها داخ الكلام من عطر أناملها وداخت من عطر أيامه. من سيستقبل الأخر هذه الليلة... أعطرها أم تبعة ومن فيهما يستحيل إلى سم أورد وجنتيها أم شوق عينيه".[43]

[42] المصدر السابق ص 56
[43] رواية امرأة الرسالة – ص 287

وهنا ألخص ما قدمته في هذا الفصل من تحولات الخطاب النسوي في الرواية النسوية الفلسطينية بعدة نقاط فيما يلي:

1. توظيف الخطاب الأنثوي التمردي: وهذا هو الخطاب الذي يتطلب القضاء على العادات والتقاليد التي تفرض على المرأة قهرا، فتناولت هذه الروايات النسوية قضايا المرأة بالبحث. وناقشت تصرفات الرجال الظالمة والقهر والقمع التي تتعرض لها المرأة في المجتمع الذكوري. ونجد أن "فاطمة ذياب" هي من الرائدات التي وظفت هذا الخطاب في رواياتها، وإن المرأة تتسم بصفة الضعف عندها التي تعيش تحت ظل الرجل وسطوته وجبروته.
2. نلاحظ فيها استخدام الخطاب الرومانسي الجديد الذي يدعو إلى إنشاء علاقة متساوية بين الجنسين الرجل والمرأة ونجد هذا الخطاب أكثر بروزا لدى الروائيتين سهير داؤود و"رجاء بكرية".
3. نلاحظ أن بعض الروائيات الفلسطينات استخدمن الخطاب النسوي الناضج، وهذا ما آل إليه تطور الرواية في فلسطين. ونجد هذا النضج في التعبير والتصوير والرؤى لدى "ليلى الأطرش" وسهير داؤود و"رجاء بكرية" و"فاطمة ذياب" و"آسيا شبلي". استخدمت الروائيات عناوين خدمت الدلالات والصور الشعرية الممزوجة في لباس سردي، محقق الآن ذاته تأكيدا على أهمية المكان في رواياتهن، فالصراع الحقيقي في فلسطين هو صراع المكان والانتماء.
4. نلاحظ أن جمالية الحوار عن طريق روعة تتابع اللغة، ولهاثها الحار برزت، فطغى الحوار الداخلي monologue، واستفاد الحوار الداخلي من قدرتي الذاكرة والمخيلة في تعزيز أنماطه وتنويعها، فتمكنت الروائية من تطويع التقنيات السردية لاستخدامها في معالجة النصوص الروائية، كما في تقنية الاسترجاع. انحصرت "فاطمة ذياب" في روايتهما "مدينة الروح" و "الخيط

والطزيز" على الحوار الداخلي. فإن الكاتبة بينت لنا في روايتها "الخيط والطزيز" قصة المرأة في ظل مجتمع ذكوري عن طريق حوار البطلة لذاتها ولشخصية وهمية وهي الطبيب.

الفصل الثاني: هوية المرأة وتمردها في رواية ليلى الأطرش

إن المفهوم الحقيقي للتمرد على المجتمع هو أن يحاول أي عضو من أعضاء المجتمع إحداث تغيير في العادات والتقاليد بشكل فردي التي هي سائدة ومتبعة فيه، ولكن هذه المحاولة تذهب سدى في أكثر الأحيان وحكم عليها بالفشل والخيبة كونها محاولة فردية، وذلك لأن إحداث تغيير هائل في تقاليده التي هي سائدة منذ زمن طويل يتطلب محاولة اجتماعية وثورة جماعية، وهذا هو مفهوم التمرد في علم الاجتماع. أما مفهوم التمرد الفلسفي فإنه هو محاولة التحدي التي يقوم بها الشخص ضد عناصر ظالمة وطاغية لا تعرف معنى العدل والمساواة، وتمارس أعمال العنف والجور والظلم فليس من السهل أن تقهر هذه العناصر العاتية، ولكن الصراع يستمر رغم الفشل المتواصل، لأن الشخص لا يجد أمامه خيارا آخر غير ممارسة التمرد ضد هذه القوى الطاغية، وهذا هو قدره ومصيره، كما نجد في الأسطورة اليونانية أن سيزيف (الصخرة) كان قد أيقن بأنه سيرتفع مع صخوره إلى قمة الأولمب، ولذلك بذل جهودا مستمرة بدون توقف وكما نجد أن المرأة تحاول محاولة جادة مستمرة اعتقادا بأنها ستشاهد تغييرا في المجتمع وسيجئ يوم ترى فيه كل شخص يتمتع بحقوق متساوية ولا يميز بين الذكر والأنثى. إن المرأة مازالت ولاتزال تعاني من أنواع شتى من المظالم المؤلمة عبر مئات السنين، ولكنها لم تألو جهدا في مواصلة تمردها الفردي ضد مثل هذا المجتمع الذكوري وضد القوانين والتشريعات التي قد وضعت لاستغلال المرأة والتلاعب بها.

إن "ليلى الأطرش" أعادت تذكيرنا بهذه القصة مجددا في رواياتها. ونافشت وجهة نظر المجتمع التمييزية وقدمت حلولا ناجحة لتحويل مثل هذا المجتمع إلى

مجتمع بشري حيث يعيش كل فرد من أفراده بحرية كاملة، وينال حقه الأساسي في الحصول على التعليم والعمل والحب والزواج والتعبير عن رأيه الشخصي واتخاذ القرار بدون أي عقبة أو خوف من أحد.

ما كنت أعرف الكاتبة "ليلى الأطرش" قبل خمس سنوات، ولكن حينما انتهيت من قراءة روايتها الأولى "وتشرق غربا" التي صدرت في عام 1988م فوجئت بأنني تعرفت على كاتبة تجيد المتطلبات الأساسية، وتتقنها في الإنتاج السردي الجاد. وليس دليل أكبر من أنها جمعت لنا فيها بعض شخصيات تمثل جيلين من الناس يختلف بعضهما عن بعض، جيلا عاش أحداث النكبة وما تبعها وجيلا آخر عاش نكسة حزيران واحترق بأضرارها ومضاعفاتها في تناغم سردي ليس له ميول إلى ركن من أركان النص لحساب آخر فالرواية بما فيها من تفاصيل تجسم الحياة اليومية وتعبر عنها تعبيرا واضحا في زمن محدد ومكان معين ليستشرف المستقبل ويتنبأ بحدوث تغيير.

ولاشك في أن موضوع الرواية الموسع كلف الكاتبة صعوبة النطر إلى الصراع بمنظار قد يكون أبعد شأوا، مما يسمح به الشكل الروائي، فقد طرحت فكرة التوافق والانسجام بين أتباع الديانتين. وطرحت مسألة التبشير والوحدة والاستعمار الكولونيالي والعدوان الثلاثي ومسألة المرأة وحقوقها المهضومة في مجتمع أبوي يفضل الذكور على الإناث ولا يسمح للفتاة بأن تتابع تعليمها العالي إسوة بغيرها من الإخوة. وأشارت إلى الأعمال الفدائية التي تقوم بها هند النجار وإلى مستقبل الصراع داخل فلسطين بين الاحتلال الاستيطاني والجيل الناشئ الفلسطيني فيما يعرف بالتنبؤ واندلاع الانتفاضة الأولى 1987م. وهذا كله بما يتطلبه من تفاصيل ذات طابع توثيقي حمل الرواية "وتشرق غربا" أكثر مما تحتمله الروايات. وأما لغة فلاحظت أنها أقرب إلى اللغة التسجيلية فهي مقتربة كثيرا من لغة الحياة اليومية، سواء أكانت لغة الحوار أوالسرد مما يعطي الراوي الكثير من المرونة ليغيب عن

الساحة في بعض المواقف. إن الكاتبة "ليلى الأطرش" تتخذ من هند النجار بطلة الرواية شخصية ذات أبعاد ثلاثة الأول باعتبارها شخصية تخوض تجربة وتعاني ويلاتها، والثاني باعتبارها شخصية روائية وتحركها الروائية لتأدية وظائف دلالية معينة، والثالث باعتبارها نموذجا رائعا للمرأة بإشكالياتها التي تحدد تبعا لعلاقتها وصلتها بالأخرين. وإن هذا الائتلاف بين الأبعاد الثلاثة في تكوين شخصية هند النجار لا يتحقق بجرأة قلم ولا بالاستجابة التلقائية لفيض النوايا الحسنة التي تعلن عنها الأطرش في هذه الرواية، وأن مجموعة الشخصيات التي تتحرك حولها في فضاء قصصي يشهد الهزة بعد الهزة ويتعاقب عليه انهيارات نفسية اجتماعية. وفي بداية الرواية تلفت الكاتبة النظر إلى الطابع الخاص المميز لشخصية هند، وهي طفلة صغيرة ففي عينيها حزن شديد وفي ذهنها أسئلة كثيرة قد نضجت في رأسها الصغير يرفضون الإجابة عليها، وحينما تلح في أسئلتها يعاقبونها[44]وعندما تصرح بما يخطر ببالها يصفونها بالوقاحة[45] فهي تجرأ على استياءها للعهد القديم بسب تناقض المنطق أما المعلمة البدنية فتعاقبها بسجنها في غرفة الفئران وأما زميلتها سلمى فتزورها مرات عديدة، وأما أخوها عماد فوضع يده على كتفيها بشفقة وحنان قائلا: من حقها أن تسأل وأن تحار فإنه أيضا قد حار مثلها من قبل ولكنه لم يطرح الأسئلة التي اختلجت في ذهنه[46] فالتزمت هند بالصمت منذ ذلك الحين وفي ساحة المدرسة المختلطة لم تجد إلا صراخا ولم تسمع كلاما إلا ما يعبر عن تحررها من الكبت الذي يثقل الجسم وأعضاءه[47] وفي أكثر الأحيان أثناء مواجهتها مع الذات تتذكر أطفال اللاجئين فيلقي بنظرة على جبل راحيل فتلاحظ إسرائيل التي تخافها ويكرها وتزداد كرها مع كل لحظة تمضي تقع فيها عيناها على اللاجئين [48] ومع كل

[44]رواية وتشرق غربا ص 9
[45]المصدر السابق ص 9-10
[46]المصدر السابق ص 11
[47]المصدر السابق ص 12
[48]المصدر السابق ص 14

لحظة تسمع قصة عن اللاجئين. ولايزال أبوها شكري النجار يقول لها: لماذا تطرحين مثل هذه الأسئلة؟ ولماذا تشغلين بالك باليهود؟ ويموت عبد القادر وهو طفل من البلدة بانفجار قنبلة من بقايا الحرب فتسأل هند نفسها لماذا مات عبدالقادر؟ وكيف؟ لقد كان ودودا يدافع عن النبات ضد الأولاد في ساحة المدرسة ولماذا لا يتركها اليهود ولا يتركون رفاقها[49] ويشتد حزنها ويتحول ليلها إلى كوابيس ومع ذلك إن الجميع من حولها يلتفت إليها ويهتم بها وإن إدراة المدرسة تختارها لتشارك أحد الذكور وضع إكليل من الزهور فوق جثمان الطفل الذي دمرته القنبلة، وكذلك تختارها مدرسة الرياضة في فريق رياضي بتأثير مارأته في عينيها الواسعتين التي فيهما حزن شديد. وتفوز هند النجار في لعبة شد الحبل لجعل فوزها رمزا للتغلب على الإدراة القوية وانتصار التصميم على الرغم من الكفاية الضعيفة الجسمية. وتكبر هند وتكبر معها القصص وتكون أحاديث الأتراك والإنجليز والثوار مختلطة بحديث أيام الزمن وزواج الجدة المبكر وبلوغ الفتاة ولا يتنافي ذلك كله مع استمرار الدائرة الضيقة التي تفرضها الأسرة "إحفظي دروسك بشكل أحسن وأكثرفائدة لك"[50] "وعيب ياهند البنات لازم يركزو والبنت يجب أن تثقل و لا أن تنط هنا وهناك" "شوفي ياهند والله العظيم لو مد الله في عمري فستكملين علمك مثل إخوتك وأكثر" وفي إشارة واضحة لاتخلو من الدلالة تستجيب الطفلة إلى هذا التوجيه فتقبل على القراءة" أكوام من الكتب لجرجي زيدان يطالعها عماد وحسام تجد فيها عاما مختلفا عن العالم الذي تتحدث فيه الجدة أم شكري[51] وعندما هي جالسة بمفردها تفكر فيما قرأت تبحث في الوجوه عن فارس فلاتجد... يحلق بها الخيال بعيدا لعل مغوارا من تلك الروايات التي تعرفها يأتي على هذا النحو تبدأ هند النجار مهمتها الأولى متجهة إلى عالمها الرومانسي، عالمها الخاص بها الذي يتأثر شيئا فشيئا بجل إشارة أو ابتسامة أونظرة من ابن

---

[49]المصدر السابق ص 14-15
[50]المصدر السابق ص 29-30
[51]المصدر السابق ص 31-32

الجيران أومن مراهق عابر في الطريق وتتخذ هند خطوة أخرى إلى هذا الاتجاه فتصبح بارعة مع الذين المتبرعين لصالح الحرس الوطني وفي هذا الصدد تلتقط هذا الوصف لموقف النساء من الحدث. "ما جلست النساء في اتجاه واحد كما يحدث في مجتمعاتهم عادة كان يوما مختلفا ولم تتكلم فيه النساء عن الأولاد الصغار وطبخ الطعام واتخذن مظهرا جادا وشاركن الرجال أقوالهم وأحاديثهم. أما هند فقد سببت الإزعاج لعماد بطرح أسئلتها المتكررة عن الإنجليز وفلسطين وعبد الناصر حتى تساءل حسام الذي أرقته كثرة أسئلتها: "كيف تفهم بنت صغيرة[52]وتنشأ عندها عادة جديدة هي تهتم بالاستماع إلى الراديو وتتبع الأخبار وينقل إليها المذياع خبرا جديدا لاتستطيع ذهنه الناشئ إدراكه في البداية وهو خبر تأميم قناة السويس الذي تمكنت من فهمه في النهاية وليس في مقدورها فهم سبب اشتعال الحرب (حرب السويس)[53] فكان لهذا الحدث تأثيره في ذهن الفتاة الصغيرة التي راقبت أضواء رامات راحيل تتراقص عند الأفق البعيد خلف جبل المكبر. وللمرة الأولى أحست بالخوف أقل من قبل.

وعندما تعلن هند أن أمنيتها أن تصبح محامية تنقسم الأسرة فريقين فالتقليديون بمن فيهم الجدة أم شكري يرفضون طلبها، بينما يستطرد عماد في تقديم الأمثلة التي توضح للجدة أن بعض النساء يحكمن دولهن ومنهن الطبيبة والمحاسبة والمهندسة. وإذا كانت قراءات هند المبكرة شجعتها على اتخاذ الخطوة الأولى في الطريق الرومانسي، فإن هذه المحاورة تجعلها أمام فضاء جديد وجها لوجه تخيم عليه الخلافات بين دعاة الجمود والتقاليد والعادات المتحجرة وداعاة التحرر والانفتاح وحق المرأة في تلقي العلم لا فرق بين الرجل والمرأة، ولذلك يقتحم قاموسها للمرة الأولى كلمات: المساوات وتحرر المرأة وتنشأ في ذهنها صورة المرأة التي تقف منتصبة

[52]المصدر السابق ص 49
[53]المصدر السابق ص 52

القامة مرفوعة الهامة أمام القضاة في فضاء المحكمة تدافع بقوة عن الأبرياء والمهتمين العاجزين[54].

نلاحظ أن الكاتبة استخدمت في هذه الرواية نموذجا نسويا يؤدي العديد من المهام ففي الوقت الذي تمثل فيه هند النجار رمزا متحركا ضد التقاليد الجامدة في الزواج، ومنع الفتاة من مواصلة تعليمها العالي، لأنها حرمة والحرمة لازم أن لا تذهب خارج الوطن وتختار التخصص المحاماة خلافا لأي تخصص يعتقد أنه يناسب الفتاة، وتمثل في الوقت نفسه اختراقا لقيود المؤسسة الدينية، فتقترن برجل مسلم وهي مسيحية، وتدعو لتحرر المرأة ومساواتها بالرجل

ومن خلال متابعة رصدها للأحداث التاريخية تكون الكاتبة رؤية مزدوجة لشخصية المرأة، فهي إلى جانب الاهتمام بوضعها من حيث هي أنثى تفكر في الحب والزواج تجعل منها فتاة فخورة بتعريب الجيش 1956م، وتأميم قناة السويس وتجربة الوحدة بين سوريا ومصر التي انقطع منها الأمل بزوال إسرائيل.

كتبت "ليلى الأطرش" العديد من الروايات الرائعة التي كشفت فيها صورة المرأة وهويتها بما في ذلك: "وتشرق غربا" و"إمرأة للفصول الخمسة" و"ليلتان وظل امرأة" و"رغبات ذاك الخريف" و"مرافئ الوهم" وطرحت فيها أهم القضايا النسوية التي سلبت من النساء الهدوء والقرار واطمئنان القلب.

إن نظرة المجتمع للمرأة لايمكن أن تتغير إلا بعد أن يتقدم المجتمع، ويواكب حركة الواقع الاجتماعية والسياسية وعندما توسع الثورة للمرأة مجالا للنضال والمقاومة إلى جانب الرجل تتغير هذه النظرة للمرأة، حيث أن تحرير المرأة من معيقات التقاليد والعادات السائدة هو مقياس يقاس به تحرر المجتمع البشري. فنظرا إلى هذه الفكرة تنضم هند النجار إلى حركة النضال، كما أشارت إلى ذلك الكاتبة الأطرش في روايتها "وتشرق غربا". نجد في هذه الرواية أن الشخصيات النسوية هي في مقدمة

[54]المصدر السابق ص 70

المشهد الروائي ويبدو ذكر هند النجار في أماكن متعددة حيث أنها تقوم بتمثيل دور المرأة المتمردة. هي تنال حقها في تلقي التعليم رغم مواجهة المشاكل والصعوبات التي تسببها السلطة الأبوية التي تنظر إلى كل شيئ في المجتمع بنظرة الجنس. يرفض والدها طلبها لمتابعة تعليمها العالي ولا يرضى ببيع أرضها لمنح المال لها لتكمل دراستها "شو بيقولوا الناس؟ شكري النجار باع أرضه علشان يعلم بنت"[55]. واجهت هند من المشاكل ما لم تكن مقتقصرة على حقها في الحصول على التعليم فحسب بل هي تتعرض للعقبات في سبيلها وقت اختيار رجل كزوج لها فإن عائلتها قد رفضت عرضها للزواج من الشخص الذي كانت تحبه بسبب دينه المختلف وإن إخوتها الأشقاء طالبواها بالحفاظ على كرامة العائلة وسمعتها والامتثال لتقاليد مجتمعهم وعاداتهم.

صورة المرأة المناضلة:

إن هند النجار كانت مضطرة لاتباع عادات المجتمع، ولكن شعورها بذاتها وهويتها تزداد أكثر فأكثر وتزداد قناعتها بالاستقلال الحقيقي الذي لا يتحقق إلا بعد الانضمام إلى حركة النضال مع الرجل حيث أنها هي ما تكفل بإذابة الحساسيات بين أشخاص المجمتع . إن الأطرش في روايتها ناقشت أسباب انتقال المرأة إلى حركة النضال وكيفية تغيير فكرتها ونظرتها الاجتماعية والطائفية بعد مرورها بتجربة مرارة الواقع وعمليات الاحتلال اليومية وأكدت الكاتبة على تراوح صورة المرأة في رواياتها بين المثقفة وغير المثقفة.

نجد الرواية تتضمن التاريخ الاجتماعي وكما نجد خريطة دولة فلسطين المستقلة. إن أحداث الرواية تدور في قرية لا وجود لها على وجه الأرض وهي بيت أمان تخيلها ذهن ليلى الأرض. وكذلك تتحدث الكاتبة عن الأمكنة الفلسطينية مع ذكر تفاصيلها مثلا القدس وبيت حنينا ورام الله وبيت لحم وبيت ساحور وعمان

[55]المصدر السابق ص 111

وبيروت ودمشق. تتضمن الرواية قصة الحب والعشق بين بنت مسيحية وطبيب مسلم والبنت هي نمطية التطلعات والطموحات تدرك وعيها الحقيقي مأساة الاحتلال الإسرائيلي وضياع الوطن ثم شن الهجوم والاحتلال على عائلتها فيتمزق قلبها وتتفجر إحساسا بالرفض والمقاومة.

اتخذت "ليلى الأطرش" في رواية "وتشرق غربا" وهي روايتها الأولى اتجاها نسويا ولا أنثويا في تناول قضية هند النجار وسرد حكايتها الطويلة مع ذكر التحديات التي عانت منها في أيام المدرسة وحينما كانت تعيش بين أفراد أسرتها في المجتمع. صدرت هذه الرواية قبل حوالي أكثر من عشرين عاما ويمكن أن نقول دون أن نتعمق في أي نوع من اللعبة المزعجة لذكر الأسماء إن الرواية في الأردن في الوقت كانت قد انطلق سفرها وهي تحمل طيها إنجازا هاما: لعبة التفصيلات التي تحول العادي إلى ممتاز والبسيط إلى مركب والدارج إلى طريف. تتمحور أحداث الرواية حول صراع الذات الفردية مع الجمهور وصراع الذات مع الفترة التاريخية بتفاصيلها العميقة لتطلعات الفرد وطموحاته ابتداء من المدرسة الابتدائية وانتهاءا بشاطئ النهر حيث تشرق الشمس غربا.

إن الشمس حقا أشرقت غربا حينما انتهت السنة التي تم إصدار الرواية فيها وانجلت عن الانتفاضة الكبيرة الأولى. وفي رواية "مرافئ الوهم" التي صدرت في عام 2005م نجد أن الكاتبة وضعت الأحداث على خط يدور بين الحاضر والماضي والمستقبل. تبدأ القصة من حاضر شادن التي هي بطلة الرواية ووقوعها في حب كفاح أبوغليون "أرتعد إذا استعد لك، أنا المرأة التي ملكت مفاتيح الكلام" [56] وفي ذكر حكايتها يرجع الماضي المنسوج إلى ذاكرتها فإننا نتعرف من خلال ذلك على أبعاد شخصيتها.

[56] رواية مرافئ الوهم ص 5

زهرة الحب تتفتح بين شادن وكفاح في الزمن الماضي ولكن ترفض عائلتها قبول حبيبها المسلم بسبب دينه المختلف مع أن كفاح يحاول إقناع عائلتها بقوله "إنني مستعد لاعتناق الدين المسيحي للحصول على حبي الغالي". وشادن مضطرة إلى الاستلام لقرار اتخذته عائلتها مثل هند النجار في رواية وتشرق غربا حيث أن مأساة شادن تتشابه مع مأساة هند التي قد حرمتها عائلتها من الزواج من حبيبها مروان بسبب انتماءه إلى الدين الإسلامي ونجد شادن تعجز مثل هند عن الخروج على تقاليد الأسرة التي وقفت في وجه تحقيق أحلامها فتعقد العزم على إصلاح حياتها بعد فشلها في مجال الحب والعشق فهي تتزوج من شخص أخر ولكن سرعان ما تفاجأ بخيانته فتقرر الانفصال منه مصرة على الطلاق رغم عدم موافقة عائلتها على ذلك. "ثار أبي وندب حظه... ابنة مقهورة تطلق رجلا ناجحا... وأقسم أن يقاطعني"... نجد هنا شخصية شادن مختلفة تماما وهي تبدو بيرونية تتمرد على تقاليد مجتمعها وعاداته وهي تفسخ زواجها من زوجها بإرادتها بعدما تفاجأ بالعلاقات الاجتماعية التي نلاحظ فيها الطابع الذكوري مسيطرا والتي تسمح للرجل بالخيانة والتي ترى فيها ممارسة التعدي على شخصيتها وفرديتها وممارسة القهر والسحق على إنسانيتها "رفعت صوتي كما لم يعهد أبي أوخبرته من نفسي ... أخرجت الأخر من حياتي بقراري وحدي"[57].

حرمت العادات الاجتماعية شادن من التقرب إلى من تحبه ولكن أرغمته ممارسة عائلتها للقمع والظلم عليها بعد خيانة زوجها على اللجوء إلى التمرد والحصول على حريتها الفردية وتقوم بشق الطرق إلى الشهرة وتنجح في حياتها العملية وتصبح إحدى أبرع الإعلاميات والروائيات من أجل إزالة الهموم الداخلية والتخلص منها وتحقق حريتها التي تنتزعها رغم عدم موافقة أفراد عائلتها ولكن لا تتمكن شادن من التخلص من إرثها الثقافي والتربوي رغم حصولها على السمعة

[57]المصدر السابق ص 11

والشهرة حيث أن قرارها باتخاذ الخطوات ينحصر على عقل يقوم بتحديد اتجاهها ومسريتها "أنا امرأة تحلم بمغامرة تحي جذوة الحياة وتقلبها فلا تجرؤ... أحسد النساء اللواتي يندفعن بعاطفة ويبادرن بالمغامرة"[58]. تبدو هنا شخصية شادن مغلولة بإطار الفرد الذي يمتلكه العقل الإنساني حيث أن صاحبتها لايقوم بالتعبير عن أحاسيسه وأفكاره ولا يفعل شيئا مما يمكنه من تحقيق أهدافه وتطلعاته.

إن الموقف الذي تحمله شادن لايختلف عن موقف الروائية وإن فكرة الحرية لدى شادن والكاتبة هي مرتبطة بمشاعر نساء المجتمع كفرد حر مستقل يعتقد أن الحرية هي وعي بالحاجة الاجتماعية والتربوية التي تضع حدودا لعلاقة المرأة بشخص آخر لذلك نجد أن شادن لا تتجرأ على اللجوء إلى المغامرة بل تتخذ خطوة فوق ذلك حيث أنها تعتقد أن القدر هو كل شيئ يقوم بتحديد مصيرها "تفرض الحياة واقعها وسطوتها وشروطها فنقبل دون أن نفهم..."[59]. إن شادن منتمية إلى بيئة تقليدية تتقيد بقيود عاداتها وتقاليدها وتكبح عواطفها ومشاعرها "علمني أبي أن امرأة عربية مثلي مصيرها أن تفرح بمشاعرها" لأنها تكتم أسرارها عن غيرها من الأخرين وتعاني من المأساة والذل والاحتقار في حياتها وهي تتصنع في إبداء فرحها وسرورها للأخرين وللحفاظ على سمعة عائلتها وكرامتها ولكي تبقى صورتها مشرقة وصافية أمام الأخرين.

إن شادن بعد مضي السنوات الطوال على حبها لحبيبها لا تزال تحتفظ بحبها لها في داخلها وكأنها تعتقد أن الماضي يسكن هموم الحاضر "هل خطر لك في فراق السنين أنني كنت أنجح من أجلك .أتميز لتعرف أشتهر لتسمع"[60] وحينما تجد شادن فرصة لمقابلة كفاح بعد مضي خمسة وعشرين عاما وهي تتظاهر في تصرفاتها وتبالغ في مظهرها وأناقتها وهي راغبة في استرداد ذكريات الماضي

[58]المصدر السابق ص 13
[59]المصدر السابق ص 16
[60]المصدر السابق ص 8

وتجديده فهي تتظاهر كأنها امرأة محافظة تقليدية تبذل الجهد للتأثير على غيرها من الأخرين عن طريق مظهرها ولكنها حينما تقابله تجد أنها تعرضت لخسارة فادحة بسسب فقدان رجل زمن الماضي الذي كانت تحبه أكثر من نفسها "وجه غير هذا احتلني وضاع فيه العمر"[61].

وفي الرواية نفسها نجد مثال "سلاف" متشابها لشادن الراوي في انقطاع أملها وفشلها في تحقيق حلمها وحبها الذي عشقته وأحبته. وإن الشكل الفني للسرد والحكاية الذاتية يتعاون في تمثيل صورة "سلاف" التي تحكي بضمير"الأنا" عن صلتها بجواد كما وجدت شادن تحكي عن علاقتها بكفاح. وإننا نعرف عن مختلف الأبعاد للأزمة التي تعاني منها كإمرأة في استرجاع "سلاف" لماضيها واستحضارها فإننا وجدنا "جواد" زوجها وتعرفنا عليه في كواليس مسرح الفن في بغداد وتزوجا معا رغم عدم موافقة أهله على ذلك وترحلا إلى لندن.

نموذج المرأة الثورية:

إن شخصية "سلاف" هي متمردة منذ صغرها "منذ وعيت وغير العادي هاجسي وأحلم بدور لم يلعبه سواي"[62]. فرغم تقيد عائلتها بتقاليد المجتمع وعاداته قامت "سلاف" بتحطيم أسوار وأصفاد قبل زواجها وبعدها. وإننا نجد "سلاف" أكثر تمردا من شادن الراوي هي اتخذت من صبر خالتها لميعة وصمودها وصلابتها وتمكنها من الحصول على النجاح قدوة تقتدي بها.

تواجه "سلاف" حماقة الرجل وغباءه. إن الرجل الذي اعتبرها دمية وسلب منها كرامتها وشرفها في مقابل تقديم مساعدته لها في عملها ودراستها وأساء إليها بجرح قلبها وشخصيتها بحواراتها الرذيلة والقبيحة ثم يتقدم لها بالمعذرة وتوسل لها أن تفصح إنه طردها من حياتها وطلقها ثم حاول إعادة الحصول عليها بسكب دموع

[61] المصدر السابق ص 24
[62] المصدر السابق ص 74

التمساح. نجد هذه العلاقة بينهما تتحول إلى عذاب مهين. إن "سلاف" لا ترضى بزواج المحلل وترفض زواج المتعة بشدة كذلك وهي تعتقد أن هذا النوع من الزواج هو قهر ومذلة "لن أقبل المحلل ففيه امتهان لي ولن أنام مع غيرك لأعود لك"[63].

نجد "سلاف" امرأة جديدة من نوعها قد تغيرت تماما وهي مختلفة ناضجة بعد إقامة العلاقة مع "جواد" وهي الأن ذات تجربة قد نضجت عقلها وعلمتها أسلوب الحياة وغيرت وعيها ونقلتها من ذاتها الأول إلى أخرى وهي الآن لم تعد رهن إشارة الرجل "لن أخدع ربي من أجلك أوأمارس الحرام لتنكح وتطلق متى تشاء"[64].

تغادر "سلاف" مع أولادها وتبتعد عن حياة "جواد" الذي لا يعدها إلا دمية أو أداة لإشباع غلته الجنسية فتفتح بابا جديدا من حياتها وتحصل على النجاح في مهمتها وتقدم الاحترام للجميع وهي تملك حرية و الحق في اتخاذ القرار الآن ولكن رغم ذلك كله إنها تحاول أن لا يظهر فشل زواجها للآخرين كما حاولت شادن إخفاء خسارتها العاطفية عنهم للحفاظ على شرفها وكرامتها في قلوب الناس ولكن إذا أصيب "جواد" بالشلل فذهبت إليه لتقف إلى جانبه وتراعيه وتهتم بأموره. هذه المرأة في رواية "مرافئ الوهم" تبدوا نقيضا لصورتها التي يحملها الرجل في ذهنه ويصورها في إنتاجه الأدبي ولكن في نفس الوقت لا تنعكس صورتها المطلوبة التي ترغب فيها الروائية بسبب انتماءها إلى مجتمع محافظ وتقليدي حيث مازالت تعاني من مظالم العادات والتقاليد التي قد وضعها المجتمع الذكوري . ورغم محاولتها الجادة عن طريق شخصياتها النسوية للتمرد على تابوهات المجتمع والخروج عليها سواء أكان ذلك يتعلق بالدين والسياسة والجنس ورغم سعيها إلى تحقيق التوازن الذي تجده مفقودا بين ذات المرأة الداخلية وذاتها الاجتماعية من أجل ردم الهوة بين الأنا والعالم إلا أنها تظل كاتبة.

---

[63] المصدر السابق ص 87
[64] المصدر السابق ص 89

حينما نلقي نظرة على نصوص الرواية نجد أن الكاتبة حقا رصدت معاناة المرأة كي تقوم بإنشاء عالم يوازي للعالم الحقيقي وهي تلقي عن طريقة الرواية أضواء على مختلف الجوانب من معاناتها وتقوم بتحريك المياه المتجمدة التي كانت قد ركدت وحاولت إزالة النقاب عن وجوه عالم المرأة الداخلي الذي يموج بالثورة والتمرد. إن المرأة تبدو متعلمة ومثقفة في روايات "ليلى الأطرش" وتقوم بممارسة نوع من أنواع التمرد الذي يرتبط باليقظة الاجتماعية والثقافية والسياسية ضد مجتمع يضيق الخناق على حياة المرأة ويقيدها بأصفادها الحديدية ويضغط عليها فهي تحاول إثبات جدارتها التي سلبها منها المجتمع الذكوري من خلال نجاحها وسمعتها المشرقة في ميدان العمل والتعليم ولكن المرأة تدفع ثمنا باهظا لهذا النجاح والشهرة عاطفيا حيث أنها حينما تملك ذاتها وحريتها لاتخاذ القرار تتعرض لخسارة فادحة وفشل كبير في حياتها الوجدانية والعاطفية بسبب تقديم النظرة التي يحمله المجتمع البشري على حريتها الشخصية.

وأريد الإشارة إلى أن حرية المرأة في روايات "ليلى الأطرش" لا تعني حريتها في تصرفاتها الجسدية مثل ما نجد في بعض الروايات العربية الأخرى فإن المرأة في رواياتها تميز بين الحلال والحرام حيث أن نطاق الحرية في رواياتها لم يصل إلى ما وصل إليه نطاق الحرية في روايا ت بعض الكاتبات العربيات مثل أحلام مستغاني أو ليلى البعلبكي أو نوال السعداوي.

كتبت "ليلى الأطرش" عدة روايات رائعة وفي معظمها تناولت قضية االمرأة وفلسطين ولكن وجدت انها في رواية "ترانيم الغواية" ركزت على سرد قصة تاريخ فلسطين وأوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية وهي ناقشت فيها قضية الصراع بين أهل الوطن العربي وأهل يونان على الموقع الروحي الذي تجسد في مرجعية الكنيسة الإرثوذكسية وهذا الصراع لا يزال يجري حتى يومنا هذا. ولعل من الأسئلة التي قد تنشأ في ذهن القارئ في الحديث عن الرواية، سؤال العنوان فقد تعود القارئ

على الربط رواياتها وما تختاره لها من عناوين تلقي الضوء على المضامين أو الرؤى التي تتطرق إليها في الرواية. ابتداء من روايتها "وتشرق غربا" وانتهاء برواية "أبناء الريح" فإن العنوان يلقي الضوء على الأشياء الخفية والمضرة من مدلولات النص أكثر مما هو علامة أو ميزة طاغية على غلاف الكتاب. ومن يطالع الرواية "ترانيم الغواية" يتضح له مباشرة بدون أدنى شك أن كلمة الغواية وكل مشتقاتها من كلمات أخرى تحمل معاني متاشبهة تتكرر فيها بشكل مستمر. قالت ليلى في حوار مع جريدة الغد الأردنية: "إن الرواية تحمل طيها معرفة ومعلومات وتكشف تاريخا مزورا وهي خطوة نحو خلق عالم يشبه الحياة البشرية بكل ما تحتاج إليه من صور وأبطال وأحداث وقصة حب وعشق وتلوين أساليب الحكاية. ما كتبت ليلى رواية استخدمت فيها أيدولوجية سابقة وهي أتت بقصة حب محرم وزواج ممنوع في أيام التقلبات والتحولات الهائلة التي شهدتها مدينة القدس وهذه الحكاية لها ميزة دينية وسياسية لا يوجد لها نظير إلا في النادر. وهذه ليست قصة وحيدة في رواية وجدت في المؤلفة من يقوم بحبك حوادثها بشكل رائع فإنها اختارت لكل شخصية من الشخصيات حكاية وتلتقي هذه الحكايات وتتقاطع في فضاء قد خيم عليه التوتر والصراع السياسي والحروب والانتفاضات المتتالية ضد العثمانيين والأتراك الاتحاديين والإنجليز المحتليين واليهود. وتستوقف القارئ بعض شخصيات هامة للرواية منها ميلادة أبونجمة وإبراهيم أبوالحداد وولده رفيق من زوجته السابقة التي قد توفيت. وتقدم زهرة الأنصاري نموذج المرأة المسلمة قد ربطتها أشد الصداقات متانة وقوة بميلادة أبونجمة المسيحية فتخبرنا بذلك الصور التي هي أكثر من الحكي بلاغة[65]. زهرة الأنصاري تقول صداقتنا غريبة وعجيبة. كل منا تنتمي إلى علائلة متدينة جدا ولكن رغم ذلك التقينا على درج ستنا مريم التي تمثل نموذج أطهر النساء على وجه الأرض. لقد خصص الله تعالى لها سورة في كلامه المجيد دون نساء العالم

[65] رواية ترانيم الغواية ص 286

الأخريات كلهن. نزلت خائفة في درج الكنيسة الطويل إلى قدرون وغلبني الرعب فتجمدت وتوقفت. شعرت بعض خطوات تتسحب خلفي مترددة وبدأت تقترب مني فتجمعت وحاولت الاستدار فوجدت طفلة قد غطت رأسها بمنديل وهي تهبط الدرج معي. قالت: أنا ميلادة أبونجمة. نحن قد سبق وأن تعارفنا من قبل وتبادلنا حكايتنا. وفي المقابل استغل كافة الرجال العرب الدين والشريعة الإسلامية لمصالحهم الذاتية والسياسية مما أدى إلى اندلاع الاضطرابات الطائفية. وهناك مؤشرات واضحة أن العرب أبدوا سذاجتهم في معالجة قضية فلسطين ولم يهتموا بها قط". تكشف هذه الرواية لنا موقف المسيحيين الحقيقي من مدينة القدس والصراع الذي عانى منه الكاهن من قبل اليونان. قالت في حوار آخر أجراه زياد العناني في نفس الجريدة " إنها تعلمت كثيرا من تجاربها الإعلامية والصحفية ووظفتها في كتابة رواياتها بكل سهولة". أثارت "ليلى الأطرش" قضية الكثير من النساء اللواتي كن يعملن في مجال الصحافة والإعلام بلغتها الشعرية وبأسلوب شيق آسر واللواتي تعرضن لصراع عائلي مع أزواجهن وكذلك تناولت الكثير من القضايا بالبحث التي لم يتحدث فيها أحد الكتاب.

<u>قضية الطلاق والمحلل في المجتمع العربي</u>:

تناولت "ليلى الأطرش" في رواية "مرافئ الوهم" قضية تعتقد بأنها إحدى أهم القضايا الإنسانية وهي قضية الطلاق البائن وقضية "المحلل" وذكرت مدى شدة التعسف والظلم ضد المرأة في المجتمع وخاصة كشفت صورة المرأة الحقيقية في روايتها هذه التي تتحدث عن نضالها مع ذاتها وتصرفات مجتمعها والظروف السائدة فيه. هذه الرواية في الواقع تقوم على أشخاص أربع يتحركون في فضاء واحد وهم شادن و"سلاف" و "سيف العدناني" وكفاح أبوغليون الذي نلاحظ ذكره في الرواية كثيرا ولكن يتراجع من بؤرة اهتمام الكاتبة إلى الهامش فنلاحظ "سلاف" و"جواد" قد استحوذا مساحة كبيرة في النص وتدور حولهما خيوط الرواية. يظهر في البداية أن

شادن هي هي بطلة الرواية وهي شخصية بارزة ولكن الصحيح أنها تبقى كذلك حتى تظهر شخصية "سلاف" وتنفجر مشاكلها مع "جواد" وإن هذه المواقف المتفجرة والحديث الذي يتخللها بين "سلاف" و"جواد" يكشف عن العديد من النواحي الخاصة في كل منهما فإن "سلاف" تصف زوجها الأول بتردد تتنكر لما يدعي أنه يعتقده من مبادئ وهو يعامل المرأة كأنها أدنى مرتبة من الإنسان وإن "جواد" يصفها بالقسوة وتظنها تخلو من الرأفة والرقة وتصفها بتحجر القلب. وإن الكاتبة "ليلى الأطرش" في روايتها ""امرأة للفصول الخمسة"التي صدرت في عام 1990م تتجاوز ذلك كله وتجيئ بتقنيات سردية جديدة تطبيقية تلبس النص الكثير من ملامح الحداثة مع التكثيف كاللجوء إلى تعدد الأصوات وتناولت الأشخاص على المقام السردي مما يستتبع تناوب الضمائر اللافتة لتنوع الراوي: متكلم ومتشارك و مخاطب وغائب. وفي هذه الرواية لاحظت فكرتين أساسيتين أولهما فكرة سياسية تكشف الغطاء عن العديد من الأعمال المشبوهة التي أصابت العمل السياسي الفلسطيني في المنفى وثانيتهما فكرة اجتماعية نسوية تتمثل في النهاية العاجزة التي آلت إليها حكاية "نادية الفقيه" مع "إحسان الناطور".

ومن يقرأ هذه الرواية يرى التصوير الدقيق لمثالب النموذجين الرئيسين فيها "إحسان الناطور" الذي يعامل "نادية الفقيه" والمرأة الأخرى معاملة رجل بالغ لطفل يلعب باالدمية ويتورط جلال الذي يدعي انه رجل ثوري في صفقات مشبوهة لتوريد الأسلحة وهو أيضا يعامل المرأة معاملة الدمية وأما نادية فهي ليست أقل منهما. إذا خيرت بين "إحسان الناطور" وجلال فضلت "إحسان الناطور" على على شقيقه للزواج لما حقق لها من مكاسب وفي طليعتها الثروة والمال وما خطر لها ببال قط أن زوجه "إحسان الناطور" سيعاملها بهذه الطريقة ويعتبرها مثلة دمية لاحراك فيها ولاحياة ولاروح وسيقدم على خيانتها مع امرأة أخرى بصورة علانية. أما روايتها "ليلتان وظل امرأة" التي ظهرت إلى حيز الوجود في عام 1998م فهي تتشابك

مجددا ظلالا من الواقع: الهجرة والمنفى والتحيز ضد المرأة وحرص الأخيرة على تحقيق الذات عن طريق تزويد نفسها بحلى التعليم ودراسة القانون وممارسة المحاماة مقابل الأخرى التي تشكو من لعبة القدر الغاشم الذي إلى جانب بعض الناس لا يميل إلى الأخرين وإن هذه الرواية تتناول الجانب العميق من الصراع الدرامي الذي تعيشه المرأة في الشرق العربي فقد وجدت في المونولوج أداتها المناسبة للتعبير عن معاناة الشقيقتين وعالمهما الداخلي كأنه نوع من المناجات ومن حديث النفس للنفس تعبير مادي محسوس عن القمع الذي تشعر به المرأة فيمنعها من البوح والتصريح بما لديه من أوجاع وما يختلج في أعماقهما من هواجس.

مهمايكن من أمر فإن الروايات الثلاث تتكأ على المرأة في أداء دور البطولة إذا ساغ التعبير وأما روايتها الرابعة "صهيل المسافات" التي صدرت في عام 1999م تبتعد عن هذه القاعدة واتخذت من الرجل صالح أيوب بطل الرواية وساردا في الوقت نفسه كأنه يكتب قصته لتكون مسلسلا دراميا مثيرا ممتعا وعن طريق علاقات متشابكة تصل بين بؤر ميكانية متعددة وفضاء سردي مترافي الأطراف. اتضح لنا أن معاناة صالح أيوب ليست مختلفة عن معاناة أي رجل مثقف في الوطن العربي، رجل يحيط به الهوية المرتبكة ومسؤلية الكلمة مرة بصفته أستاذا مرة أخرى وطورا باعتباره صحفيا كرس حياته لكتابة عمود يومي وطورا باعتباره مخدوعا بما أذيع على الجمهور من أحاديث عن علاقة عضوية مزعومة بين بيئة ينخرها التخلف وأخرى تدعي العولمة والتمدين. أما زوجته زهرة فهي تشبه نخلة شامخة ورغم دورها الثانوي تساند زوجها وتقف إلى جانبه في أكثر الأوقات. ركزت الكاتبة "ليلى الأطرش" عنايتها على كتابة نسوية جادة تخلو عن اللغة المتكررة في روايات أخرى. وتواصل محاولتها البحث عن لغة جديدة لكتابة سردية متنصلة من تبعات الأشكال النمطية فتهتدي إلى تكوين جديد يستفيد منه فن السيناريو والبرنامج التلفزيوني. وثمة تداخل في الأمكنة عبر المشاهد يوازيه تنقل بالقارئ من فضاء لآخر ومن شخصية

لأخرى وهناك صوت يمثل هذه الشخصية وصوت يمثل شخصية أخرى. وعلى هذا النحو تتبأر شخصية كفاح أبوغليون الانتهازي العريق وشادن الراوي وتجمع في شخصيتها بين التبئير الداخلي والخارجي. وكل منهم له مساره الخاص الذي اختارته الكاتبة وله صوته الذي يملأ الرواية و إن الصوت الخفي الوحيد في هذه الرواية هو صوت الكاتبة. كل منهم يتحدث ويتكلم بلسان يمتاز به عن غيره ويتسق مع دوره. ومع هذا لا تفتقر إلى شفافية الشعر التي عرفناها في رواية "امرأة للفصول الخمسة"أوصهيل المسافات فالجمع بين تعدد الأصوات والنسق الحواري مع نسيج لغوي لا يخلو من حنان الشعر في شرائح الوصف. وهذا شيئ لا يسهل الوصول إليه إلا بعد الخبرة الواسعة والمران الطويل وهذا هو ما بدون شك تمتلكه "ليلى الأطرش" في رحلتها الإبداعية هذه.

ونلاحظ في روايتها "أبناء الريح" التي صدرت في عام 2012م ظاهرة طالما بحث عنها الروائيون والكتاب ولفتت الكاتبة عن طريق هذه الرواية انتباهنا إلى المهمشين والمسحوقين والمضطهدين لأن الكثير من الكتاب لم يهتموا بهذه الشريحة الإنسانية وهي شريحة الأيتام لا آباء لهم يرعونهم ولا أمهات ولا أسر. منهم من ابتسم أو عبس ومنهم سفيان الذي اهتدى في نهاية المطاف إلى مكان عمه تيسير في دبي فألحقه بأسرته واعتنى به كثيرا ودرسه حتى تخرج في كلية الطب وكأنه بهذا العمل الخيري يكفر عن ما ارتكب من جريمة في ماضيه وهي جريمة مقتل أمه آمنة ووفاة والده حسن الجبار في سن مبكرة في طريقة غامضة لا تفسير لها عند أحد منهم إلا أن يكون قد قضى حزنا وكمدا على زوجته التي كانت وفية له ومخلصة في حبها له وإلى جانب ذلك كانت بارعة الجمال جدا. وبدأ يستأنف سفيان استعادة الحوادث من جديد عن طريق التسلسل المعكوس بعد مضي ثلاثين عاما فيتحرى البحث عن الشخوص الذين كان قد لقيهم في يوم من الأيام.

تبدأ كرة الصوف بالانفراط وتبدأ الحوادث في التتابع في شيئ من التفصيل التي تسلط الضوء على المرير من الأسرار والخفايا فإن عم سفيان هو في الواقع ابن عم أبيه الذي يبدي حسن نيته وهو العامل الرئيسي الذي دفع والده حسن إلى قتل أمه آمنة فإن تيسير يحسد عليها ويرى أنه هو أولى بمعاشرة تلك المرأة من حسن الذي لا تسحقها حسب في أي حال من الأحوال. وقد منعته مرات كثيرة عن الاقتراب من نفسها حينما حاول مراودتها ولكن دبر مكيدة مع ابن عمها الذي استهوته تلك المكيدة فتسلل إلى بيت حسن في غيابه. أما تيسير فأصبح يبلغه في الوقت ذاته في حضور رجل غريب في بيته وهذا ما شجعه على ارتكاب جريمة قتل فيها زوجته بينما كان سفيان وهو طفل صغير يرى كل ما يجريه أمام عينيه بدون وعي. إن السرد في هذه الرواية من الأنواع التي تستقصي فيه الحكاية الرئيسية حكايات أصغر منها مثل الإطار الذي تتضمنه مجموعة من العديد من الصور ولا صورة واحدة فقط. فالرؤية السردية إذا وتعدد الأصوات طريقتان اتبعتهما الكاتبة في هذه الرواية بكل إتقان. إن لغة الكلام عند يحيى الذي يستمتع بكاريزما الزعامة والقيادة لغة فاحشة وسوقية ومبتذلة تبهر الصغار وهم يحاولون تشكيل عصابة من الرجال الأشرار وهذا بعض ما تصدح به حنجرة يحيى وهو يروي للأولاد جزءا من حكايته "والدي سبب المصائب .. طلق أمي وتزوج بلا سبب .. تركنا ودار على حل شعره هو سائق في المشفى أحب ممرضة واحدة تعمل فيها وتزوجها ولم يسأل عنا .. لم يكن أمام أمي خيار غير أن تتزوج وتبيع حالها. هكذا قالت حين عاتبتها كانت تبكي حين نذهب إليها فيطردنا زوجها ويمنعها من منح كسرة خبز.. سمعناه يصفعها ويصرخ! هو تزوج واحدة لا ثلاثة والشروط كلها هي قبلت.. وهو ليس من خلقنا ورمانا والبغل الذي أنجبنا أولى برعايتنا..". وإن لغة نادرة الفقية تباين بمفرداتها وصوتياتها كلام الأم العابثة التي لا تتورع عن شيئ في قصة ياسمين والكلام الذي

يجري على ألسنة مشرفات دور الأيتام ينبئ مرة عن مستوى أخلاقي في رصين وطورا عن مستوى من الناس لا يتورعون عن الكذب والسرقة والغش مع أنهم مربون.

الفصل الثالث: صراع العلاقات بين الرجل والمرأة في روايات ليلى الأطرش

لقد وضحت "ليلى الأطرش" أهمية المال وتأثيره على الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع إشارة إلى جمال المرأة وتأثيره عليهم فيه. إن الروائية الأطرش قدمت في روايتها "امرأة للفصول الخمسة" الشخصيات الذكورية بصورة سلبية ولم تذكر محاسن ثقافتها ووظيفتها بينما نجد أن المرأة هي ثابتة وصامدة تتخذ خطوات إلى الأمام بمنهجية سليمة تتجاوز كل المعيقات والصعاب ونجدها تتزود بجانب أخلاقي تصبح بفضله نموذجا ومثالا رائعا للعطاء والسخاء والكرم والصبر واعتبار الذات محترما ومكرما.

إن وضع الصراع بين الرجل والمرأة هو وضع تتميز به هذه الرواية وهذه مشكلة تتعرض لها المرأة الشرقية "نادية" حينما جاء الأمر الذي يتعلق بتزوجها من "إحسان" وإذا كان الأمر متعلقا بمشاعرها تجاه جلال فإنها تتغلب على ذاتها وتعالجه بغاية من الجرأة والصلابة والجلادة. إذا تقدم جلال إليها تلذذا بجسدها واستغلالها فنجدها صامدة أمام شهواته النفسية والجسدية وتتمكن من التغلب عليه ثم نجدها تتخذ خطوة صارمة فتطرده من بيت زوجها "إحسان" الذي هو رجل مثقف وثوري حينما تظهر لها هشاشة الرجل نجد المرأة أقوى وأصلب منه. وفي مكان آخر في الرواية حينما وقع زوجها "إحسان الناطور" في حب امرأة مثيرة "أنجلا" وخان زوجته "نادية" مرارا وتكرارا وأعطى لها هدايا غالية الثمن ونفيسة صبرت على ذلك والتزمت بالصمت دون إبداء غضبها واستياءها. إن نادية تدافع عنه أمام أولادها لتبقى صورته وشخصيته مشرقة ونقية ولا يظن به أحد أبناءه سوءا وإن فارس كان يعتبر كل بنت سواء أكانت صغيرة في السن أوكبيرة قد خلقت لأجلها وهو رجل ذو ثروة طائلة وله تجارة كبيرة فإنه يعتقد بأنه يستطيع الحصول على كل ما يريد بدفع المال.

ونجده يقع أمام نزواته إذا عقد العزم على الزواج من فتاة هي أصغر من بناته فالمرأة تقع ضحية وهي مضطرة إلى اختيار أمرين أولهما عليها الانجراف مع التيار السائد أو مواجهة سطوة المجتمع الأبوي.

إن نادية و"إحسان" هما شخصيتان محوريتان في الرواية وإن النادية تظهر موافقتها على الزواج من "إحسان الناطور" رغم ملاحقة أخيه جلال لها وتعلقه بها. هي فتاة مثقفة لها شغف كبير في القراءة والمطالعة حتى تصبح الكتب جزءا لا يتجزأ من حياتها حيث أنها تقضي كل وقت من أوقات حياتها في مطالعة الكتب ولا تبتعد عنها لدقيقة. إن زوجها يحاول منعها أكثر من مرة من كثرة المطالعة وينصحها بأن لا تتعب نفسها بقراءة طويلة قائلا: "يانادية سيضعف بصرك بالقراءة"[66]. نجد نادية تركز اهتماماتها على تثقيف نفسها وتزويدها بالعلم والمعرفة وتطويرها رغم منع زوجها منها بشكل مستمر ونجد أن حالة التمرد تبدأ من هنا بمجرد نهامتها المستمرة في القراءة والمطالعة فإنها تصر عليها ولا تلتفت إلى نصيحة زوجها في البداية ولكن حينما يرغمها زوجها على التخلي من كثرة مطالعة الكتب فإنها لا تجد أمامها خيار آخر سوى الابتعاد عن ذلك ولكن شرارة التمرد عليه تبدأ تشتغل في داخلها فإن المرأة الشرقية يجب عليها أن تلتزم بالطاعة العمياء إذا طلب منها زوجها ذلك. إن هذه الحالة للتمرد تنبع من صراع داخلي ومع مضي الوقت تجعل هذه الفكرة تتضج في ذهنها وتصل إلى القمة وتتغلب عليها من كل جانب.

صورة المرأة المثقفة:

نادية تحاول الخضوع لتقاليد هذا المجتمع حيث أنها لا بد لها إما ترتبط بها أو تتمرد عليها وتحرر نفسها منها وتكون متميزة عن الأخريات. هي تتكلم مع نفسها وتقول لها تنتقد تصرفات زوجها "لماذا هو مصر على التخلي من كل شيئ؟ إذا أخذت الكتاب في يدي ينزعج منه وهو ملح على سلبه من يدي منذ أول أيام زواجنا

[66] رواية امرأة للفصول الخمسة ص 41

ولكن بدأت ألقيه بجانب بنفسي إذا رأيت يدخل البيت. حاولت دائما أن أصبح زوجته الوفيه المخلصة لأنني أنتمي إلى سلالة تلك الأعرابية التي مازالت تعمل أجيالها بوصيتها ولم تعصي لها أمرا قط ولم تقم بإفشاء سر من أسرارها قط ووجدت في قلبها إرادة طيبة[67]". إن الكاتبة تستمر بالتفكير في الواقع الذي تعيشه وتمر به وتحاول إيجاد حل ناجح شامل لهذه المشكلة وتحسين واقع النساء المسلمات في المجتمع وتطلب منا تحسين سلوكياتنا وتصرفاتنا تجاههن وتغيير أفكارنا عنهن لأن هذا الوضع الذي تمر به المرأة في المجتمع غير صالح ولا تناسب الواقع أوالعصر الحاضر. إن نادية تفكر في المجتمع الأبوي الذي لا تجد فيه شيئا إلا شهوة جنسية نحو المرأة التي يعتبرها كائنا ضعيفا فإنها تكون منزعة من هذه الفكرة والرؤية السائدة في المجتمع نحو المرأة.

نادية تظهرسخطها واستياءها "هل زوجي للحظة ينتابني الآن؟ هل هو يقدر أن يفهم أن ثعبان ضخما يلعسني حينما لا يرى في إلا وسيلة لإشباع رغباته النفسية... في داخلى إنسان آخر... بلا جنس... إنسان يحمل أحاسيس ومشاعر وتمتلك قوة التفكير... ويلهبني بسوطه كلما يمعن "إحسان الناطور" في استثارة الأنثى في... ولكنه عذاب داخلي... ضعيف مكتوم... وعاجز عن إدراك المقاومة والرفض... وإذا عاملني "إحسان الناطور" كلعبة ثم نام بعدها مسرورا مطمئنا استند إلى حافة السرير فيراودني شعور غامض... وتنبلج حافة السرير عن أخدود عميق... هوية سحيقة بدون قرار تماما بجانبي"[68].

إن الرواية تظهر لنا مشاعرها وأحاسيسها التي تشعر بها وهي مرتبكة عندما يجد "إحسان الناطور" يعاملها كجنس آخر يختلف تماما عن الرجل وهي تسخط وتغضب وتشعر بالتوتر والألم الشديد إذا اعتبرها "إحسان الناطور" جسدا أو مجرد

[67]المصدر السابق ص 42
[68]المصدر السابق ص 43

متعة. إن نادية تتوقع من "إحسان الناطور" أن ينظر إليها كإنسان كامل ومستقل يحمل مشاعر ورغبات وطموحات ولكنه يفعل عكس ذلك فهي تشعر بالاغتراب والوحدة. من هنا بدأت فكرة التمرد عليه تترسخ في دماغها وهي لم تلتفت إلى الإستماع إلى طلبه فرفضت ارتداء الحجاب والملابس التي يطلب منها أن ترتدي. "أنا لا أحب الوردي ولا أريد أن أرتديه ولكنه لوني المفضل؟ وأنا لا أطيقه"[69]. وبهذا الجدال والنقاش يبدأ الخلاف يتعمق ويتوسع نطاقه بين نادية و"إحسان الناطور". إن "إحسان الناطور" ينظر إلى نادية كأنها سلعة اشتراها من السوق ومن حقة الأساسي أن يتلذذ بها ويتصرف معها كيفما يشاء فإنها ليست أكثر من متعة أو ترف بالنسبة له ومن جانب آخر يجب عليها أن تمتثل لأوامره وتؤدي واجباته نحوه. إن النوع الأخر من الصراع بينهما الذي تخوضه نادية ينشأ حينما تجد زوجها تخونها وتخدعها وهو بالعكس يتهمها بالخيانة والخداع. "أنت تغيب أسابيع ولا أعرف أين تذهبين وأين تكونين وإنني لم أغب قط لمدة أكثر من ثلاثة أيام في زواج طالت مدته خمسة عشر عاما"[70].

إن نادية تحاول أن تبقى زوجة مخلصة وتقوم بأداء واجباتها كلها نحوه بناءا على إنسانيتها وليس بسبب خوف سطوة الرجل التي هي سائدة في المجتمع بعد تحليلها الدقيق للواقع ومثابرتها وهذا ما يدفعها إلى التحلى بالصبر والجلادة وإخفاء ألمها وحزنها وسآمتها من خيانة زوجها. "كيف تجرؤ على تصور ذلك يا ابن الناطور؟! كيف يتصور لك خيالك المريض ذلك؟ أنا لن أفعل مثلك يا "إحسان الناطور"... إذا حافظت أنا على نفسي وكرامتي فهذا لن أفعل من أجلك بل احتراما لإنسانيتي حيث أنني أربو بنفسي عن كوني متاعا وترفا لأحد... وإنني لا أفعل ذلك من أجلك بل من أجلي أنا" [71].

---

[69] المصدر السابق ص 48
[70] المصدر السابق ص 198
[71] المصدر السابق ص 199

إن الكاتبة تقدم فكرتها عن القيم والمثل والأخلاق وحسن التصرفات والمعالمة الحسنة وترى أن العلاقة يجب أن لا تكون مبنية على العادات والتقاليد. إن صارت الأيام تقليدية فإنها كانت قد قامت بالتشهير بزوجها وفضحته أكثر ولكنها إمرأة من نوع آخر تفضل السكوت والصمت وتحب أن لا يسمع عنه أحد في المجتمع حتى لا يعرف بذلك أحد أولاده من أجل الحفاظ على شرفه وكرامته وصورته أمام أولاده" [72]. نادية هي مثال عظيم للنبل والشهامة وهي تدفع المال وتبذل الجهد وتقوم بتسكين غضبها وإطفاء نقامتها كي تبقى صورة "إحسان الناطور" نقية صافية في المجتمع وخاصة لدى أولاده. إن الروائية تكشف لنا مدى ضعف الرجل أمام شهوته وغروره وكذلك مدى الثقافة التي توجد في بلده بحيث لا يبقى ذلك الشخص مختلفا عن غيره من الرجال وإنما تكون مجرد ذكر مثل كل الذكور في المجتمع.

إن جلال شقيق "إحسان الناطور" الذي كانت تحبه نادية في السابق قد فقد هيبته وكرامته ومدى الاحترام الذي كانت تحمله ناديه نحوه في الزمن الماضي بسبب ثقافته ومواقفه الثوريه النظرية والعملية. كل ذلك ينهار أمام نادية لأنه يحاول استغلالها فإنها لم تتجاوز أخطاءه وطردته من البيت. "ولكني سآخذك منه ولن أبقى حمارا وإذا هو لا يرى في إلا أنثى يتركها أو يلتقطها... وتفجر في داخلي إحساس قاهر بالقرف والاشمئزا... دفعته فوق الأريكة بشدة لم أعرفها كنت أصرخ ودموعي الحارة تغسل كل هذا القبح... سافل !... فتحت الباب ووقفت فيه... أخرج... أخرج... أنا "نادية الفقيه" لا تستطيع أحد أن يعرفها أويمتلكها"[73].

إن المرأة تقدر على تجاوز ذاتها أولا بهذه الطريقة ثم تمنع الشخص المغرور الذي يعتبر نفسه أحد الثوار والمثقفين بينما أنه في الحقيقة ليس أكثر من أحد أفراد المجتمع العاديين أعني المجتمع الذي تتغلب فيه سطوتهم وسلطتهم والذي تشيع فيه

[72] المصدر السابق ص 200
[73] المصدر السابق ص 126-128

غريزة الرجال وشهواتهم وهم لا يتمالكونها ولا يمكنهم السيطرة على تصرفاتهم الرذيلة حتى أمام إمرأة هي زوجة الأخ الشقيق الذي يصب جبال المظالم عليها ويعتدي عليها باستمرار فكيف يمكن أن يعتبر الشخص نفسه ثوريا ومثقفا.

إن "ليلى الأطرش" تطرقت إلى قضية الصراع بين الزوج والزوجة الذي يتعامل معها كدمية ويستغل صلتها وعلاقتها بنساء الشيوخ في الخليج العربي وإن نادية تأخذ قرارها بعد وقوع "إحسان الناطور" في صفقات مشبوهة أن تبدأ حياة حرة مستقلة اقتصاديا بدونه. إن الكاتبة تحاول البحث عن أفق واسع للحرية والاستقلال يمكن فيه للمرأة تحقيق توازنها الذي قد فقد بين ذاتها الداخلية وذاتها الاجتماعية وبين ما تنوي حكايته وبين ما تقرر السكوت عنه لأن الكاتبة تجد في بطلات رواياتها وسيلة للاعتراف تحقق لها هذا الهدف وهي تكاد تعيد ما قاله أحد الروائيين الفرنسيين المشهورين "بلزاك" "أنا سعيد أنا روائي وإنني أستطيع من خلال شخصيات أبطالي أن أبوح بكل ما لم أكن أقدر على البوح به بنفسي".

إن الإنسان يعتقد أنه مطالب بكشف ما يراه ويعلنه في المجتمع ويجب عليه أن يخبره به سواء أكان ذلك يتعلق بصديقه أو شخص كاهن أوطبيب نفسي. هذه المحاولة النسوية لتحقيق هدف جديد وتغيير وضع اجتماعي، ولاسيما وضع المرأة السيئ. ونجد أن هذه المحاولة ليست مختلفة بالتاكيد عن محاولة التغيير التي شهدها الوطن العربي، وخاصة الأردن التي شهدت حركة اجتماعية هائلة خلال الخمسينات على إثر النكبات والنكسات العظمى، ثم بدأت سلسلة النزوح والمهاجرة من البادية والريف مما سبب انهيارا كبيرا في منظومة القيم والكوابح الاجتماعية وإن المرأة بدأت تتجه إلى المدرسة والكلية وسوق العمل على نطاق واسع بعد ظهور ثورة الاتصالات ودخول عصر العولمة.

وحينما نطالع رواية "مرافئ الوهم" نرى فيها التباسا طفيفا في إسم إمرأة هي غائبة الوجود في الرواية ويذكرني هذا الالتباس بمسرحية كتبها هنريك إيبس. إن

بطلة (بيت الدمية) هي "نورا" وبطلة "مرافئ الوهم" هي "نور". "نور" هي شخصية غائبة ومغيبة وراء بيت الزوجية في هذه الرواية لا تجد زوجها "سيف" وهو شاب يعيش حياته كأحد الرجال الشرقيين يقدم مبررا لتصرفاته ومعاملاته، في حين تفضل زوجته انتظار عودته إلى الوطن متى يشاء ويجئ بالهدايا النفيسة التي تسرها وتحول همومها وأحزانها إلى الفرح والسرور وهي تلتزم بالسكوت دون أن تبدي له سخطها أوغضبها. إن نور هي امرأة بدون مطالب وبدون شخصية ولا يزعجها أي شيئ سوى خوفها على أن يتزوج زوجها عليها. إن هناك شخصيتين نسائيتين في الرواية وهما شادن و"سلاف" إحداهما فلسطينية الأصل، وثانيتهما من العراق وهما مشتركتان في المهمة التلفزيونية وتدرسان معا، ولكنهما قد فشلتا في الحب والتمتع بالحياة الزواجية. ما صفقت شادن و"سلاف" باب الزوجية بل انصفق بسبب ممارسات الزوجين: محمود و"جواد"، فمحمود بسبب خيانته، و"جواد" بسبب عصبيته ومعاملاته مع "سلاف" باعتبارها دمية وسلعة تجارية يطلبها وقت يشاء ويشتهي ويجعلها تشعر بالملل والسآمة.

تقع شادن في حب شخص فلسطيني يتبع دينا آخر وتقع "سلاف" في حب شخص ينتمي إلى طائفة أخرى وحينما حكم على حب شادن بالفشل فإن "سلاف" تجدها تضحي بنفسها وترتبط بشخص تحبه ولكن ما لبثت أن انقطع هذا الارتباط ولجأت "سلاف" إلى السعي للبحث عن عمل يناسب شخصيتها لتقضي حياتها مع أطفالها الصغار بعيدة من زوجها الخائن. بدأت شادن و"سلاف" تعملان في القناة التلفزيونية في دولة الإمارات العربية المتحدة. وشادن تعد حلقة من حلقات البرامج وتقدمها على التلفزيون وأما "سلاف" فهي تنضم إلى أعضاء فريقها وهي تبذل جهدها في البحث والتحقيق ولا تبالي بالتعب والكلل[74].

[74]المصدر السابق ص 22

إن الرواية تكشف لنا أسرار شادن و"سلاف" التي تتعلق بحادثة اختطاف كفاح أبوغليون في لندن. حينما تصفحت شادن الصحيفة يوما وجدت الخبر عن ذلك الحادث فإن مشاعرها القديمة وعواطفها النائمة بدأت تستيقظ وهي أصبحت تشعر بالقلق والانزعاج مع مغادرة الفريق التلفزيوني إلى لندن من أجل إجراء مقابلة شخصية مع أبوغليون. وينكشف لنا الغطاء من أسرارهما وتظهر لنا تفاصيل القصة كلها التي كانت قد سلبت منهما السكون وراحة البال وهي قصة حب فاشل تفتقد إليه شادن لأنها تخسره بسبب اختلاف دينه وانتماءه إلى طائفة أخرى. تقرر شادن التقرب من حبها القديم كفاح أبوغليون بعد مضي هذه السنوات الطويلة على الفراق وانقطاع الصلة والعلاقة بينهما بعد أن قد انتقلت إلى عالم الصحافة والإعلام ودخولها إلى عالم الثروة والمناضلة وهي تعرضت لزواج فاشل وفقدت كل شيئ لأنها ترغب في البقاء معه الآن من جديد. فحينما تجده في لندن مع أنها تعلم بتصرفاته السيئة وتقلباته الوجدانية جيدا وهي تعلم أيضا أنه لا يستطيع إبقاء هذه العلاقة الزوجية لمدة طويلة ولكن هي لا تريد أن تكون لعبة في يده مرة ثانية بل تريد أن تعيش معه كإمرأة حرة تستعد للتمرد على خيانة الرجل في ظلام البيوت التي تفتح أبوابها للجواري.

إن الأحاسيس والمشاعر هي أساس في الرواية وقد وضحت لنا الكاتبة العقباب والقيود الدينية والطائفية والاجتماعية وتم تجسيد علاقة "سيف الإماراتي" بنور التي تنتمي إلى طبقة اجتماعية متواضعة شبه منبوذة. وتحدثت الرواية عن الصراع بين المرأة والرجل فإن الرجال "كفاح" و"محمود" و"جواد" كلهم يدرسون ويتعلمون وينشغلون في مجال الصحافة والإعلام والمحطة التلفزيونية ولكنهم ينتمون إلى أسرة تضع حدودا لعلاقة المرأة بالرجل فالرواية تتناول سطحية ثقافتهم بالبحث والاستعراض مما سبب الفشل في الزيجات من النساء اللواتي قدمن تضحيات وتحملن أنانية رجولة شرقية و بالعكس يجعل الرجل كل ترف ومتعة وجميع

المحرمات متاحة ومباحة لنفسه بينما نلاحظ أن المرأة ينكر عليها حقها في الزواج حتى من شخص متكافئ إن كان ممن لم يعتنقوا الإسلام حتى لا يسمح لها بالوقوع في حب شخص طيب القلب وحسن الأخلاق كي تعيش المرأة معه حياة مرضية وترفة في شروط إنسانية مثمرة.

تسأل "شادن" "سيف" لعلها تحرجه..

وهل تعرف نور عن الأخريات أوتحدس؟

وهل أنا أهبل .. مجنون حين أكون معها تصير ملكتي وتختفى كل نساء الكون ..[75]. يصاب جواد بالجلطة وهو منعطب فإن "سلاف" الآن تقرر البقاء معه مع أنها كانت قد رفضت الرجوع إليه كزوجة له. "ولماذا لا يكون الدافع هو إنسانيتها ومراعاة لعشيرة كانت؟ أوحبها لأولادها؟"[76].

صورة المرأة المتمردة:

إن رواية "مرافئ الوهم" هي رواية حبكت بشكل جيد. تدور أحداثها في زمن محدود يمتد إلى مدة أسبوع فقط وإن الكاتبة قدمت لنا ما استفادت من خبراتها الواسعة في أعمالها الصحفية واستخدمتها في تقنية كتابة روايتها. تتمرد شادن على ما تمر به من الأحداث والأوضاع وما تناله من زوجها من تصرفاته الخشنة الذي لا يمتنع من الذهاب إلى النساء الأخريات رغم منعها إياه من ذلك مرارا وتكرارا. فهي تفضل الانسحاب بدون نقاش حول هذا الموضوع. ألقت الكاتبة الضوء على طبيعة المجتمع العربي الشرقي عن طريق بطلات روايتها هذه. ترفض شادن طلب الزواج من الرجل الذي تحبه بكل شدة وإن المطلقة العراقية ترفض العودة إلى طليقها رغم وجود ابنة لها منه كي تكرس حياتها لمهمة خاصة وهي كسب المال والثروة. ونجد في الرواية أن الشخصيات الذكورية كلها انتهازية وتخون العشيرة وإن صفة الوفاء

[75] المصدر السابق ص 36-37
[76] المصدر السابق ص 68

والإخلاص تنقصها جميعا فإن "السيف" الذي يمارس أعمال غير محتشمة يلاحق العديد من النساء ويغازلهن مع أنه يحب زوجته إلى حد الجنون[77]. وهو صحفي عنيد يقيم في لندن ويقضي حياته في رغد ولا يشعر بخجل حينما يعتنق ديانة أخرى لمصالحه المادية وليس بناءا على اقتناءه لعقائد الديانة.

هنا أريد الإشارة إلى مسائل ثلاث ذكرت في هذه الرواية: أولها أن الكاتبة اهتمت بمجال الإعلام الذي تعمل فيه فهي مذيعة وتقدم البرامج التلفزيونية الشعبية وهي اجتمعت مع عشرات الأدبا والنقاد العرب وغير العرب من خلال مشوارها هذا وتعمل شادن أيضا في نفس المجال كمذيعة، وتقوم بإعداد البرنامج التلفزيوني وهي إحدى خريجات الجامعة الأمريكية، فنرى بينهما تماثلا كبيرا رغم أنها حاولت إيضاح هذا الأمر لعدة مرات. قالت الكاتبة في لقاء شخصي: "لايكتب مؤلف ما يعيش وإنما يتحدث فيه فقط وإلا صارت سيرة ذاتية"[78]. وأما الأمر الثاني الذي أريد أن أنوه به هنا هو أن الكاتبة ركزت عنايتها الخاصة على عنصر الحوار حيث أنه توجد فيه مساحة كبيرة من العمل وإن الحوار يحمل في داخله الأحداث والمناقشات التي تدور بين الشخصيات المتعددة ويبدأ النقاش حول خبراتها. وأما المسئلة الثالثة فهي انعكاس خبراتها عن الدين الإسلامي وما يقوله الشرع الإسلامي عن العديد من القضايا الخلافية وكذلك تحدثت عن خبراتها عن الأشخاص الذين يستغلون دينهم لمصالحهم المادية ولايعملون به.

إن الكاتبة "ليلى الأطرش" قامت بتطوير أسلوبها الروائي في كل من رواياتها وقامت بتصقيل أدواتها ووظفت لغتها الرشيقة في أعمالها الإبداعية في الوصف التي توفر لنا متعة ومعلومات تاريخية وجغرافية مفيدة معا. تبدو الكاتبة في رواياتها عفوية إلى حد كبير ولا نجد فيها تصنعا ولا مبالغة ومع مرور الزمن نجد عن طريق

---

[77]المصدر السابق ص 140
[78]المصدر السابق ص 152

قراءة رواياتها أنها الكاتبة ظلت تزداد براعة في فن الكتابة والوصف وقدرة على تحريك شخصيات الرواية. نتعرف على أفكار رائعة فيها وهي مهمة للغاية بالنسبة لمجتمعنا ووطننا العربي ويتضح لنا بعد مطالعة رواياتها أن الكاتبة لها معرفة تامة بمختلف الثقافات العالمية وتؤلمني الحقيقة التي كشفتها لنا أن المرأة العربية مهما كانت مجالها فإنها لا تزال تعاني من المشكلة الذكورية وكأن سرور الحياة وسعادتها وصفاءها يتوقف على حياة رجل.

الباب الثالث: قضايا المرأة في روايات ليلى الأطرش

الفصل الأول: قضايا المرأة في رواية "إمرأة للفصول الخمسة"

الفصل الثاني: قضايا المرأة في رواية "ليلتان وظل إمرة"

الفصل الثالث: قضايا المرأة في رواية "مرافئ الوهم"

الفصل الأول: قضايا المرأة في رواية امرأة للفصول الخمسة

إن صح ما قيل بأن العنوان يمثل علامة من العلامات التي توضح محتويات الرواية أو المسرحية أو القصة القصيرة فإن العنوان لهذه الرواية يتضمنه مدلول شديد الارتباط بمحتويات هذه الرواية، فإن البطلتين في هذه الرواية شادن و"سلاف" اخترقتا بأوهام الحب والعشق، انطوت شادن الراوي على هذه الأوهام فمازالت تكتوي بها مما أدى إلى الفشل في زواجها بمحمود أبوطير وتحولت علاقة "سلاف" بعشيق الماضي "جواد الجبالي" إلى مأساة جعلتها تشعر بالندم الشديد، لأن زوجها كان على وشك الموت بسبب إصرارها المستمر على الانفصال والطلاق.

تحكي الكاتبة "ليلى الأطرش" في روايتها "امرأة للفصول الخمسة" الوقائع والأحداث التي شاهدتها في حياتها بأم عينيها في أسلوب سردي جذاب وتقوم بتتبع خط معاكس في عرض حوادث الرواية وسردها ولا تقيم أي وزن لفكرة التسلسل الزمني وهذا هو الأمر الذي تغلب بشكل يكاد يكون تاما على روايتها الأولى "وتشرق غربا" مما سبب شيوع انطباع خاطئ عن الكاتبة واتهمت بأنها تحمل اتجاها تقليديا ولا تتمشى مع الحداثة والتجريب في روايتها. إن الكاتبة في هذه الرواية لا تنحصر على شخصية واحدة تحكي القصة ولا تقتصر على نمط واحد خاص بالسرد والحكاية ولا تنحصر على أسلوب تقريري وصحفي واحد في تصوير ملامح الشخصيات فمن هذا الجانب تمثل نقلة كبيرة وصلت بها إلى رحاب التجريب بخطى ثابتة ومطمئنة. إن هذه الرواية تتحدث عن العديد من الوقائع الغريبة التي حلت بشخصيات الرواية وفي طليعتها بطل الرواية "إحسان الناطور" الناطور" وبطلة الرواية "نادية الفقيه". كان بعض الشعب الفلسطيني قد نزح إلى منطقة الخليج العربي في الخمسينات

والستينات للبحث عن العمل ولقمة العيش وكانوا مقيمين في دمشق من قبل. وإن أول من وفد إلى باريس هو فارس فتبعه "الناطور" الذي كان له حرص شديد على اكتساب المال والحصول على الثروة لأنه كان يعتقد بأن الثروة هي كل شيئ في حياة الإنسان لذلك ترك تعليمه ولم يكمله فأخذ معه زوجته "نادية الفقيه" وبدأ سفره ونال حظوة كبيرة لدى واحد من شيوخ الدولة طويل العمر فأصبح واحدا ممن كانوا مقربين لديه وإن طويل العمر قد نجح في إقناعه بأن يقوم بإنشاء وكالة للسيارات ليجعلها غطاءا لصفقاتها المشتركة السرية المشبوهة فازداد إحسان ثروة ومالا وتوسع نطاق أعماله يوما بعد يوم وقد فوض إليه مسؤلية عقد الصفقات التجارية للأسلحة مع العديد من البلدان الأجنبية فاشترى مباني وقصورا شامخة ومساحة كبيرة من الأراضي والعقارات في الدول الخارجية بما في ذلك لندن وباريس واستثمر أموالا كثيرة في عدة مصانع ولم يعد هم له سوى النجاح في ادخار الثروة المال.

أما شقيقه جلال فهو نهم شديد في القراءة والدراسة وكان له ميول شديد إلى الثورة التي شجعته على الانضمام إلى عملية الصفقات التي كان أخوه "إحسان الناطور" منهمكا فيه مقابل عمولة محددة واستغل علاقته بالتنظيمات لينجح في هذه الصفقات السرية ولكن ما لبث أن تخلى عنها بعد الانفصال من زوجتها اليسارية نجوى ثابت وبدأ الأعمال الحرة نفسه في اليونان بعد ما أعطى إلى أخيه صكين بمبلغ قدره نصف مليون دولار كتبرع لنفس التنظيم الذي كان يعمل فيه كي يلتزم كل شخص بالصمت والسكوت ولا يفتح لسانه. واتهم "إحسان الناطور" بعد انتهاهه من إبرام هذه الصفقة بالمؤامرة ضد طويل العمر واغتصاب كل ما نال من أرباح في تلك الصفقة بمفرده وعدم منح أي فلس منها له مما أدى إلى وقوعه في ورطة كبيرة مع طويل العمر الذي أرسل بعض رجاله لإلقاء القبض عليه على المطار فجاءوا به إلى قصره وأرغمه طويل العمر على توقيع صكين بمبلغ مليون دولار وأعطي واحد منهما

إلى الغمري وثانيهما لعبد الرحمن الهملى ثم سلب منه جواز سفره البرقيسي ومنح مقابله جواز مؤقت لسفرة واحدة فقط ولم تنتهي هذه المصيبة إلا حلت به مصيبة أخرى حينما قام رشيد اللبناني بتشهيره ووفر إلى زوجته صورا عديدة تجمع بينه وبين حبيبته الألمانية أنجيلا ردنشاين التي كان يعشقها من قبل رشيد وطويل العمر أيضا فلم تعد زوجته تثق به وقد ضجرت من تصرفاته وأسلوبه في التعامل معها ومع غيرها من الآخرين فإنه لا يرى فيها إلا الأنوثة ولا تقيم لها وزنا في مهماته العملية للحصول على النجاح والوصول إلى قمة الثروة والمال.

إن الكاتبة تنوي نقل رسالة عنيفة وقاسية هنا إلى القراء وتحمل هذه الرسالة طيها انتقادات لاذعة مباشرة للعديد من الشعب الفلسطيني الذي جرى وراء المال والثروة في المنطقة الخليجية وخان وطنه العزيز وتأمر عليه لزيادة ماله وثروته ولكن عندما أدرك أن الوطن يحتاج إليه بشدة تخلى من ذلك. يقول بعضهم "عندما وصلت اعتقدت أن الوطن مغروس في الأعماق فأين هو يحتاج؟" فاتضح الموقف بوضوح أكثر في السخرية التي تم مقارنة جلال بإحسان فيها. ويقول "إحسان الناطور" عن جلال "أنظري أين جلال وأين أنا؟ أين وضعته الكتب التي يحشو بها رأسه ليكون كالآخرين من رفاقه وليته مثلهم .. يعيش بعضهم في وضع أحسن بكثير من الأثرياء .. والله العظيم ألف مرة .. أما جلال ورفاقه فلا يجدون شيئا يكتفون بالنواح على قلة المال".[79] وليس هناك شيئ أكثر وضوحا من هذا فإن جلال ما زال يثور على ذلك التنظيم فطلق زوجته اليسارية نجوى ثابت واتجه إلى ممارسة الأعمال الحرة. أما فارس وغيره من الأخرين فما كان عندهم هم سوى الرغبة في زيادة الثروة الفاحشة وأن يكونوا وثرواتهم حديثا يتلى على اللسان في مدينة برقيس وغيرها بسبب كثرة أموالهم ونجاحهم الباهر السريع. ليس من العسير على القارئ ملاحظة الاستشراف

[79] رواية امرأة للفصول الخمسة ص 54

والتنبؤ بذلك والقدرة على التعمق في المستقبل في الرواية بشكل يبين أن الكاتبة كانت قد أدركت ذلك في روايتها الأولى.

التحليل الوظيفي:

ركزت الكاتبة عنايتها الخاصة على توظيف الشخوص بشكل رائع فإنها فوضت إلى "إحسان الناطور" دور الشخص الذي يبحث عن النجاح في الحصول على المال والثروة أما "نادية الفقيه" فإنها فوضت إليها دور المرأة العربية (سليلة تلك الأعرابية) التي تمتثل لأوامر زوجها ولا تألو جهدا في إطاعته وتنفيذ رغباته ولا تعصي له أمرا أبدا ولكن مع ذلك كله يتجاهلها زوجها ولا يهتم بها ولا يعتبرها أكثر من قطعة من أثاث بيته يزين بها زاوية من زوايا بيته وكذلك أسندت الكاتبة إلى جلال دور الإبن الأكبر الذي يتخلى عن كل ما يتعلق به ليرضي أخاه الأصغر. أما طويل العمر فأسندت إليه دور أحد شيوخ برقيس وزعيم إحدى قبائلها وهو من الوزراء المقربين لدى أمير البلاد فوضت إليه دورا مهما وبارزا حيث أنه هو الذي يمهد الطريق لإحسان نحو تحقيق حلمه فيمنح المال وهو الذي يتسبب له في خسارة فادحة حينما يطرد "إحسان الناطور" من برقيس وهناك شخصيات أخرى من أمثال رشيد الطرابلسي الذي ينتمي إلى أسرة لبنانية عريقة وهو أيضا ممن كانت لهم حظوة لدى طويل العمر ففوضت إليه الكاتبة دورا أساسيا فهو يقوم بأداء رائع في تحسين العلاقات الاجتماعية بين الوافدين وأهالي برقيس إلى جانب كونه في عزوبيته وأناقته واستعداده الدائم لإقامة الحفلات ومناسبات الولائم وله مهارة تامة في لفت الأنظار لقدرته الفائقة على القيام بدور العميل المزدوج فهو الذي يكشف الغطاء عن أسرار "إحسان الناطور" لطويل العمر وهو الذي يجعله يقع في علاقة غرامية مكشوفة بأنجيلا ويسلم صورهما المريبة إلى "نادية الفقيه" فيما بعد وإلى جانب هذه الشخصيات هناك نجوى ثابت التي لها مبادئها الخاصة وهي تثبت عليها وتقوم

بالحفاظ على صفاءها الثوري وهناك عفاف التي تخرج على فارس وتتمرد عليه حينما يتزوج بامرأة أخرى ولها نهامة شديدة في قول الأشعار ففوضت الكاتبة إليها دورا ثانويا وكذلك نجد في هذه الرواية بعض شخصيات أخرى تقوم بأداءها الرائع في مسرح الرواية وهو تمثيل ثانوي هزيل مثل دور الأم والوالد المريض الذي ينصح نادية بأن يملك الذهب فضلا عن الأراضي والعقارات وهناك عبدالرحمن الهملي ودنيال الفرنسي والفديو الحارس ولا نرى هذه الشخصيات في الرواية بشكل واضح إلا من خلال حديث "إحسان الناطور" عنها. إن "إحسان الناطور" هو قدوة مثاليه للشاب الذي يحاول الحصول على ما يريد مستخدما لكل الوسائل المتوافرة لديه وكذلك تسعى نادية إلى فهم كل ما يدرو من حولها فتشعر بأنها في بعض الأحيان تجد نفسها تندفع إلى "إحسان الناطور" وفي وقت آخر تندفع إلى جلال وفي بعض الأوقات تجد نفسها تهرب إلى الأعما ل الحرة فهي تقوم بإنشاء مكتب لعقد صفقات الأراضي والعقارات كي تمتلك القصور والفيلات الشامخة وتبدأ التجارة على نطاق واسع في شوارع باريس ولندن.

نلاحظ مدى قدرة الكاتبة على تحريك شخوص الرواية وملكتها في تصوير نفسياتهم من الداخل وما يختلج في قلوبهم من أحاسيس ومشاعر متضاربة و متناقضة بشكل دقيق. ونجد "إحسان الناطور" أنه يسرد بعض أجزاء الوقائع في أسلوب خطابي "الحظ يا "إحسان الناطور" هو ما تحتاج إليه وسيأتي إحساس داخلي يؤكد لك أنه قادم .. ألم تقل لك تلك السيدة وهي ترجوك وتتوسل إليك أن تسمح لها بقراءة حظك؟ لتتزوي معها في إحدى زوايا الشارع الجانبي .. نظرت في كفك ثم رمت بودعها على قطعة من قماش فوق رصيف الطريق وحينما نطقت انتصر رضاك على تخوفك"[80]. فهذا هو مونولوج وظفته الكاتبة ليخاطب "إحسان الناطور"

[80]المصدر السابق ص 21-22

من خلاله نفسه وهو يتذكر تلك السيدة التي تكهنت له بأنه سيتزوج من نادية وبأن قدره سيجيئ بسعادة كبيرة في حياته وستكون لديه ثروه طائلة وهو يكون متربعا على قمة الثروة. وإذا كان الأمر متعلقا بنادية فإن السارد الحقيقي يبدو مختفيا ويترك موقعه لها وأصبحت نادية نفسها ساردة تسرد القصة وهي تستخدم طريقة المونولوج "لماذا يلح على تسفية كل شيئ؟ الكتاب في يدي يزعجه وكان يصر على سحبه من يدي منذ أيام زواجنا الأولى"[81]. وتواصل سرد أجزاء مطولة من القصة على هذا النمط.

لا شك أن هند النجار في رواية "وتشرق غربا" هي شخصية مستقلة مثيرة للقلق ولديها الأسئلة الكثيرة وهي تعتبر تحديا لمجتمعها مع أنها تحاول تجاوز كل ما يسود ويشيع في عائلتها ومجتمعها ولكن أما "نادية الفقيه" فهي قد حرمت من الحرية وفقدت استقلالها منذ اللحظة الأولى[82] فيذكر الراوي أفكارا متداعية في خيال "إحسان الناطور" الذي يحاول استعادة ذكريات لقائه الأول في ذهنه وأمانيه القديمة بإنه يرغب في امتلاك "نادية الفقيه" والاستحواذ عليها كما يستحوذ على كل ممتلكاته الخاصة به التي لا يشترك فيها غيره ويصبح حظه حليفا له في تحقيق طموحه هذا وهي تصبح قطعة من الصلصال المرن يقوم "إحسان الناطور" بتشكيلها كيفما يريد مع أنها هي بارعة في الحديث والكلام وبدأت تبرع أكثر في أحاديث الموضة والملابس والزينة ولم تعد تلح عليه كثيرا لإحضار الكتب وغمره الرضا عن هواياتها الجديدة"[83]. وإن "إحسان الناطور" يعتبر نادية جزءا ممتعا في حياته بل يعدها أشبه بفص من ألماس يزين به خاتمة ويلح عليها أن تخرج إلى شوارع المدينة وهي في أفخر الملابس وأبهاها وأفخم زينة. "أريد نساء برقيس كلهن أن يتحدثن عنك غدا"[84]

---

[81] السابق ص 42
[82] السابق ص 44
[83] السابق ص 8
[84] السابق ص 8-9

ولا تظهر نادية أي رد فعل سوى أنها تتجه إلى غرفة النوم بعد سماع هذا الطلب منه.

إن "نادية الفقيه" رغم ذلك كله تجيد التعبير عن زور هؤلاء النساء وزيفهن. "زيف .. ورياء .. حين يتشدقن بالشوق للأوطان البعيدة[85] وهو لا يعرف أني أكره تجمع النساء في برقيس"[86]، ويؤلمها كثيرا أنه لا يرى فيها إلا الأنثى بينما أنها تحمل مشاعر وأحاسيس وأفكارا خاصة بها وحينما ينوي "إحسان الناطور" الحصول على الأرباح على حسابها من خلال استغلالها ويتربع على قمة الثروة والمال تشعر بألم شديد وحزن بالغ فبدأ الخلاف الداخلي ينشأ فيما بين الزوجين حينما تدرك أن زوجها "إحسان الناطور" يريد أن يتخذ منها وسيلة كي يزداد بها ثروة .

لنلقي نظرة على ما يقوله "إحسان الناطور" عن زوجتها في مونولوج "ولكنها تطيعك في كل شيئ حتى في قراءة الكتب .. تركتها من أجلك أنت وكانت تصرخ وتغضب حين تنتزع منها الكتب ولكنك استطعت أن تشغلها وتنسيها تلك العادة فاستلمت لك ولم تعد تقرأ إلا قليلا .." ونلاحظ في مونولوج آخر أن نادية تؤكد أنها خاضعة لأوامر "إحسان الناطور" وهي مستعدة لتحقيق رغباته كلها بدون تردد. "كان يصر على سحب الكتب من يدي منذ أيام زواجنا الأولى ثم بدأت ألقيها بنفسي حين يدخل .. أردت أن أكون زوجته فإذا أنا من سلالة تلك الأعرابية التي تناقلت أجيال النساء وصيتها ولا تعصي له أمرا ولا تفشي له سرا ولا يشتم فيك إلا أطيب ريح. أردت أن أكون المرأة الشاطرة التي تحتوي الزوج بحبها وحنانها .. نزع الكتاب من يدي .. وأحضر تفاهات المجلات .. وسألني عنها فأجبته .. زرعني بين أصحابه

[85] السابق ص 18
[86] السابق ص 19

من العائلات الوافدة إلى برقيس. لا هم لها إلا الحلم بالثروة فبدأ الخواء يلفني .. بدأت أحس به يخنقني"[87].

ثورة مكنونة:

بدأت "نادية الفقيه" تتمرد على زوجها وبدأت شرارة الثورة تشتعل في نفسها ضده. ثورتها ثورة شخص مهزوم يتمرد مرة بعد أخرى ولكن لا تتجاوزها إلى خارج البيت. ولم يكد "إحسان الناطور" يغمرها بحنانه باحثا فيها عن المرأة حتى خمدت شرارتها[88]. تختلف "نادية الفقيه" عن هند النجار اختلافا كثيرا فهي خيالية وتجول في عالم الخيال وتقوم ببناء العديد من القصور الخيالية فيصفها الآخرون بالرومانسية وقد علمت بأن شقيق "إحسان الناطور" قد وقع في حبها ولكنها لم تتمكن من التأكد من ذلك، لذلك ما قدرت على اتخاذ قرار حاسم وعلى الرغم من أنها لا تحب أن تكون إمرأة أخرى غير ذاتها إلا أنها تتظاهر أنها سعيدة وتخرج في رفقة زوجه "إحسان الناطور" من بيتها لزيارة بعض الأقرباء فتسمع ذات يوم صاغرة تبجح امرأة وهي تتكلم عن سيف ذهبي كان يرثها أبوها عن أجداده و"كل مرة كنت أهدده بأنها الزيارة الأخيرة وهو يعرف أنني لا أستطيع الرفض .." وتمضي بعد ذلك للاعتراف "أنا لا اختلف عنهن .. تركت كل ما أحب حين جاء هذا الرجل – "إحسان الناطور" – وأصبحت إمرأته". شغلني الزواج حين دفع بي في دهاليز المجهول، مأخوذة منتشية برغبة الاكتشاف. والمعرفة"[89]. وتستطرد وهي تعترف في موضع آخر"كان الزواج هو الهدف. ثمة إحساس غريب حائر بين اقتناص الزوج .. والوقوع في الحب"[90]. وأشارت الكاتبة عدة مرات إلى أسلوب نادية وطريقتها في الاختيار فحينما عبر "إحسان الناطور" عن حبه لها كانت قد وقعت في حب أخيه جلال ولكن هي

[87] السابق ص 42
[88] السابق ص 44
[89] السابق ص 50
[90] السابق ص 51

تخلت عن هذا الحب بكل سهولة وبساطة وتقبلت عرض "إحسان الناطور" للزواج منه كأنها تعقد الصفقة: "كنت فتاة تريد الزواج تماما كما تريد الحب. و"إحسان الناطور" هو الذي استعد لمنحي الإثنين فقبلت" [91].

إن نادية تضع قدميها في اللعبة التي تجعلها تجري وراء المال في رفقة زوجها "إحسان الناطور" ولكنه بعد مضي بضعة شهور يدرك زوجها أن نادية لم تعد إمرأة مهمة بالنسبة له "سنة وأنا أنتظر منه أن يطلب مني أن أشارك في مهماته لأصرخ وأحتد ولكنه أسقطني من حساب لعبته فجأة .."[92] "وإن "إحسان الناطور" كغيره لا يفرق بين إمرأة وأخرى"[93]. وشعر فارس بأن قانون اللعبة لا يختلف. "نجح دون أن يشارك في لعبته"[94]. أما جلال الذي قد ابتعد عنها وتخلى عن حياتها لإرضاء أخيه في هذا الحب الذي يعتبره الصفقة فلا يزال يشعر كأنه يندفع إليها "لم يدخل جلال الغرفة التي أعددت .. عاد "إحسان الناطور" مع الفجر وكنت قد أصلحت زينتي ثلاث مرات .. وضمخت نفسي بالعطر حتى بان التناقص في قارورته وإن ظل بالنسبة لي لا عبق فيه حركت الأشياء من حولي وأعددت ترتيبها مرارا فماذا أريد منه؟ هل أحبه؟ أم أنني أنثى خدشها أسقاطه لها ذات يوم فأرادت أن تبرهن له أن الحياة دونه تسير وبلا نقص"[95].

تشعر "نادية الفقيه" بألم شديد رغم ذلك كله عندما تعرف أن جلال قد أخرجها من حياته. "لمحته يتهرب من رؤيتي للمرة الأولى .. لقد أسقطني من حسابه فجأة وحينما يقوم "إحسان الناطور" بشراء ذهب لها بمبلغ قدره مئتي ألف دولار لا تقبله وترفضه رفضا تاما. "كنت أريد عقارا بذلك المبلغ"[96]. وحينما يبلغها أنه سيقوم

---

[91] السابق ص 51
[92] السابق ص 57
[93] السابق ص 61
[94] السابق ص 65
[95] السابق ص 79
[96] السابق ص 93

ببيع الذهب لشراء عقار بنفس المبلغ تجيب قائلة "بل تشتري لي العقار في الصفقة القادمة وسأحتفظ بالذهب"[97]. فإن "إحسان الناطور" يطلب من سكريتيرته في باريس أن تبحث عن بيت سيهديه إلى نادية في مناسبة عيد ميلادها[98] وهو يسئل نفسه "هل سترضى نادية عما يفعل؟ وصفقة العمر قادمة وأثينا ليست بعيدة"[99].

إن نادية تعيش تجربة جديدة أخرى فهي تشعر كأنها تفتقد إلى جلال وتشتاق إلى رؤيته الآن رغم محاولتها لعدم تذكره ومع أنها تخلت عنه كما تخلى جلال عنها بكل بساطة لإرضاء شقيقه والآن تتوق نادية إلى لقاءه ولكنها لم تكد تراه حتى يراودها إحساس يتضارب بين القبول والرفض. "كنت أتمنى أن يأتي وأن يخرج من اللامعقول وأن ألمحه في غير المتوقع فلماذا يهزني أن يكون أمامي؟"[100]. ولكن ما لبثت أن يكشف لها هاجسها الداخلي عن زيف رغبتها في رؤيته. "أردت أن يظهر لي لكي يرى وجهي .. وليعرف كيف تغيرت وبدأت أملك نفسي. كيف استطال وكبر ذلك الشخص الذي في الرابض في داخلي .."[101]

ولكن رغم ذلك كله نلاحظ أن هذا الهاجس يتعارض الواقع فإنها لا تزال دمية كان قد امتلكها "إحسان الناطور" ويقوم بتشكيلها وتقويمها حسب إرادته ورغباته متى يشاء. إذا أرادت نادية شراء عطر فهي لا تشتري إلا ما ينتخبه لها زوجها "إحسان الناطور" حتى قد سلب من يدها الحق في اختيار ألوان الملابس وأصنافها وإن "إحسان الناطور" هو الذي يختار لها ذلك أيضا: "علقت كل ما هو وردي من الثياب في ركن قصي من الخزانة لبست بعضه في غياب "إحسان الناطور" .. حين كانت تزورني بعض النسوة ولم أشتري قطعة واحدة وردية اللون منذ الزواج".[102] أما جلال

---

[97] السابق ص 94
[98] السابق ص 108
[99] السابق ص 109
[100] السابق ص 111
[101] نفسه
[102] السابق ص 114

فإنه عذبها كثيرا عندما تقدم إليها ليتحرش بها ويقوم بالاعتداء عليها في الفندق. "هو لا يرى في إلا الأنثى يتركها ويلتقط أخرى. تفجر في داخلي إحساس قاهر بالرفض والاشمئزاز وذلك الإنسان الرابض في داخلي يتمطى .. ثم يعنف .. ويشتد.. فيضرب حتى رأسي .. وتشتعل جوانحي" [103]. فعلى هذا النحو نلاحظ أن شخصية "نادية الفقيه" تحتل الموقع الهامشي فهي إمرأة ليست لها رغبة إلا في عطور وثياب وحلي وعقار ومزاجها لا يزال في التقلب بين القبول والرفض .. بين الأنوثة ونقيضها .. مما يسبب حيرة ودهشة لإحسان الذي يفاجأ بأن زوجته الآن قد بدأت تفكر في إنشاء مكتبة حيث يمكنها عقد صفقات العقارات في لندن.

حينما تطلب نادية منه أن ينشأ لها شركة حيث تقوم بعقد هذه الصفقات يقبل طلبها هذا ويتفق على تشييد شركة لشراء العقارات وبيعها على الرغم من أنه يعرف جيدا أن نادية ليست له خبرة في هذا القطاع حتى ليوم واحد وعلى الرغم من أنه يعرف أيضا أن هذا المشروع قد يؤدي إلى وضع حياته أمام خطر رهيب ولكن من جانب آخر كان قد أدرك أيضا أن هذا المشروع سيعطي له ضمانة لممتلكاته وممتلكات زوجته[104]. فحينما انشغلت نادية بشراء العقارات وبيعها بدأ "إحسان" يزداد بعدا عنها كما أن نادية نفسها لا تجد فرصة للتحدث مع "إحسان الناطور" أو قضاء وقت معه وهي لم تعرف ما الذي ينقصها في حياتها وما الذي تبحثين عنه. "صار "إحسان الناطور" بعيدا عني حتى وهو معي .. ظل ينأى دون أجد الوقت لكي أفهم وأتصرف منذ تفجر في إنساني الداخلي الرافض وأنا ألهث في دروب وشعاب أبحث فيها عن ذات أردتها وحلمت بها وشكلتها كان شيئ ما يشغله ولم ألتفت إليه شيئ ما يخفيه عني"[105].

---

[103] السابق ص 126
[104] السابق ص 138
[105] السابق ص 163

حينما تهمل نادية في الدراسة في جامعة لندن يعترض "إحسان الناطور" على إهمالها في بادية الأمر ثم يتجاهل الموضوع فيتغلب عليها انقباض كبير: "موقفه الحيادي مما أفعل يفقدني قدرتي على الانطلاق والجموح كنت أتمنى لو أنه يعترض بشدة أوثار وصرخ في وجهي"[106]. لا تعرف نادية أين تذهب وماذا تفعل هي مشوشة تماما تمشي سعيا إلى البحث عن الاستقلال والتساوي مع زوجها ولكنها تريد أن تكون خاضعة له وتمتثل لأوامره وهنا نلاحظ أن طابع الأنوثة يسيطر عليها وهذا عكس ما نلاحظه في روايتها الأولى تماما "وتشرق غربا" لأننا نلاحظ أن نادية إمرأة غريبة جدا وهي تلبس ثيابا حريرية وتذرف الدموع لضياع وطنها العزيز[107] ولكنها لا تعرف مدى اختلاف وتعارض في قول المرأ وفعله، فتصرفات نادية هذه توسع مجالا لإحسان للابتعاد عنها فهو لا يقتصر على خيانتها مع أنجيلا وإنما يعزم على الزواج منها وحينما فاجأتها الصور التي تجمع بينه وعشيقته التي يرسل لها رشيد اللبناني وترى فيها زوجه مع حبيبته في مشهد غرامي مثير للاشتباه والارتباك تقرر التنازل عنه والابتعاد عن حياته التي تشبه العبوديه. "الأحرام نفسها تتنقل من أفلاكها في بعض الأحيان قد تحترق .. لكنها تتحر.. وتعتنق .."[108]. وتتخذ نادية هذا الموقف نظرا إلى تغييرات كثيرة في حياة زوجها "إحسان الناطور" الذي تعرض للصدمة الكبيرة على إثر انهيار أحلامه كلها واكتشاف الأمر أن الجميع قد خانوه، رشيد، والغمري، وأنجيلا، و الهملي وحتى طويل العمر الذي أرغمه على توقيع شيكين بمبلغ كبير يبلغ قدره مليون دولار وقد تم صرفهما من رصيده البنكي. أما نادية فإنها سلكت مسلكه فقامت بشراء سكوت رشيد بعد دفع نصف مليون دولار له مقابل إبقاء صورتها وصورته نقية وصافية أمام الأولاد لأنها قد أدركت أن "إحسان الناطور" قد فني الآن.

---

[106] السابق ص 163-164
[107] السابق ص 161
[108] السابق ص 199

من خلال التحليل الدقيق لأحداث الرواية وشخوصها نجد الإجابة على سؤال مهم يتكرر لدى الباحثين عن النموذج النسوي في الرواية وهو لماذا صورت الكاتبة المرأة تصويرا إيجابيا جيدا في نص ولماذا لم تصورها في نفس الطريقة في نص أخر؟ فالجواب أن الرغبات وحدها ليست كافية في تكوين النموذج بل إن القضية المركزية التي يدور حولها النص هي التي تؤثر في تشكيله وجعل مقوماته بارزة. ففي رواية "ليلى الأطرش" "وتشرق غربا" ركزت الكاتبة عنايتها الخاصة على تصوير أداء المرأة ودورها الذي قامت به في مقاومة الاحتلال فهذا يحتاج إلى نموذج نسوي يلائم هذه المهمة وأما في هذه الرواية فإن القضية الرئيسية فيها إدانة إحدى الشريحات الاجتماعية المعينة وإدانة أعمالها وصفقاتها المشبوهة السرية التي تمارسها وعلاقاتها التي تبني على الانتهازية والنفاق والخيانة، لذلك جاءت الكاتبة بهذا النموذج النسوي في هذه الرواية الذي يتلائم مع هذه المهمة ومستواها الدلالي . فهذا نموذج لين ولطيف وإن نادية تتقلب وتتردد في اتخاذ القرار والموقف ولا تعرف على وجه اليقين ما الذي يجدر بها أن تفعل وتنتظر وقتا مناسبا لاتخاذ الموقف بينما أن هند النجار في روايتها السابقة تمثل نموذجا يلائم وظائفه المتمثلة في تجاوز المعيقات وتحدي الظروف السائدة وإن "نادية الفقيه" تمثل النموذج النقيض الذي تتكامل أبعاده مع وظائفه المتمثلة في التخلى عن الأسئلة التي يطرحها الواقع والسكوت في وقت لا يحسن فيه شيئ سوى الاحتجاج والتظاهر أو انتظار الظروف التي تسمح لها باتخاذ الموقف والانحياز إلى قرار معين.

المراوحة في الزمن:

لقد فرضت هذه الطرق السردية المبنية على تعدد الأصوات على الكاتبة التعامل مع تقنية الزمن بما يلائم اختلاف الراوي من حين لآخر، لذلك لا تستغرب إن رأينا أن "ليلى الأطرش" وظفت أسلوب المراوحة في الزمن ففيما تروي على لسان

السارد وقائع حدثت في الزمن الماضي تتذكرها كل من شادن و "سيف العدناني" و"كفاح" "أبو غليون" في حواره مع الآخر، نجدها في نفس الموقف السردي انتقلنا من الماضي إلى الزمن الحاضر تستعين بالمضارع التخييلي الذي يجعل القارئ يعتقد بأن ما يقع يقع في أثناء قراءته له، وأنه إذا رفع عينيه عن الرواية وأغلقها ويدع خياله يؤدي عمله ووظيفته، فإنه سيرى الأشخاص ويشعر وكأنه يعيش الحوادث الجارية أو كأنه يشاهد فيلما سنيمائيا يبث على شاشة تلفزيون مباشرة. ففي المقطع اللاحق الذي يتحدث عن قصة "شادن" و"كفاح أبوغليون" التي تروي "شادن" بنفسها بعد أن قد مضى حوالي عشرين عاما على فراق "أستحضر مكتبا كان لك هناك، أدخله مراهقة تتأبط أحلامها وتكتب عن نسوة عاجزات، والعالم حولها يمور بالشعارات، أبحث عن ناشر لوهم البدايات بالقدرة والموهبة فألتقي بك في مكتب واسع سكريتيرا للتحرير."[109]

وقد مزجت الطريقة المبنية على توظيف الحاضر التخييلي اللحظتين في واحدة، وهي تنتقل بنا القهقرى إلى اللحظة الحرجة نفسها التي اكتشفته فيها متلبسا بجريمة الخيانة الزوجية بعد أن تبلغنا بانفصالها وطلاقها من "محمود أبوطير"، وخيانته "قررت أن أفاجئ "محمودا" في مكتبه، وعلى غير العادة، غرفة الاستقبال خيالية والسكريتير غائب ولا أعثر على المتدرب الجديد. ومن خلف باب محمود الموصد لهاث وجلبة خفيفة .. أطرقه فلا يرد .. يرين صمت ثقيل لثوان ويفتحه مذهولا بوجودي. وتنسحب المرأة المغناج .. تودعه بارتباكها وتمضي".[110]

وكان قد وقع هذا الحادث الذي يفترض أننا نعلم به قبل عشرين عاما وترويه الكاتبة على لسان شادن وكأنه يجري في أثناء مدة كتابتها لهذه الرواية. وتعتمد الكاتبة إلى تقنية التوقع والاستشراف إلى جانب الحذف والإضمار واستعادة الماضي. حينما تعزم

[109] رواية مرافئ الوهم ص 27
[110] السابق ص 12

شادن على السفر وتستعد لمقابلة عشيقها الخائن بعد فراق قد مضى عليه عشرين عاما تقريبا تقوم بوضع بعض المساحيق على وجهها والعطور على جسمها وعلى لباسها فتنقلنا إلى حوار قد توقعت حدوثه في الفندق من تلك اللحظة "أوه .. سيدي. أي عطر هذا؟ إنه رائع. سأشتريه لصديقتي."[111]

ولاتزال الكاتبة تلجأ إلى التلون في رصدها لزمن الحوادث. وقد تلجأ من حين لآخر لتقنية التخليص، تجعل الملخص حافزا يسهم في تذكير القارئ بما جرى في الزمن الماضي، ونقله إلى الحاضر، واستشارته لتوقع ما يجري " ولكنك رحلت عن القدس وحدك فانقلب الوجد حزنا في عيني ثم غلب على الخوف أغوار الأردن .. وتحول غابة صنوبر في بيروت قبل أن تطحنها الحرب وها هو شيخ مع إمرأة أخرى في لندن."[112] نلاحظ أن هذه المراوحة تتكرر كثيرا في أثناء الحوار الذي يجري بين كفاح و"سيف العدناني".

[111] السابق ص 15
[112] السابق ص 20

الفصل الثاني: قضايا المرأة في رواية ليلتان وظل امرأة

لاشك أن الرجل لا يستطيع صناعة الحياة بدون مشاركة المرأة فإن الأمر يستلزم هذين الجنسين وأنهما قد كلفا كليهما بعمارة الأرض وإلقاء الروح فيها فكيف يجدر بالرجل أن يعتقد أنه هو الوحيد الذي يمتلك السلطة والرئاسة ويستحق الزعامة والقيادة في كل مجال من مجالات الحياة ويحق له فقط في صنع القرار واتخاذ الموقف وأن المرأة لها وجود غير ضروري ومعطل.

لقد منعت جميع الديانات السماوية من إهانة المرأة ووأدها واسترقاقها واغتصاب حقوقها وإهمال وجودها ودورها والعبث بحياتها واستغلالها وأشادت بهذه التعاليم السماوية المبادئ التي قد وضعها الإنسان ودعت أخلاقيات المجتمع المدني إلى نشرها وتعميمها والاتباع بها وتنفيذها في حياتها العملية ليصل المجتمع البشري إلى مكانة رفيعة وعالية من التوطين والتمكين ويمكنه تحقيق الإنجازات ولكن انتزع الرجل من المرأة حقوقها منها من خلال تفويض أو بدون تفويض حتى أصبح كل كاتب من الكتاب والكاتبات يدعو إلى إيجاد حل لهذه المشكلة. ولكن ينشأ هنا في ذهن كل منا سؤال: ماذا فعلت المرأة نفسها لمعالجة قضيتها؟ وهل بذلت جهدا يذكر من شأنه أن يساعدها في تحقيق مطالبها وأغراضها وحل مشكلتها؟

إن الكاتبة "ليلى الأطرش" أشارت إلى هذا الأمر في هذه الرواية قائلة: "محيرة وعظيمة هي الحياة .. والإنسان هو الإنسان! أما المرأة فلا تزال ذلك المخلوق الذي يزداد إحساسا بأنوثته ويجد نفسه في خطر مستمر يلاحقا حيثما يرحل بينما يريد قلب المرأة لزوجها أوحبيبها أن يعشقها حتى آخر لحظة من حياته وتتمنى منه أن يتبادلها نفس الإحساس وأن يشجعها إذا تغلب عليها الخوف والرعب من الآتي

وكذلك لا بد للمرأة من أن تستعد له إذا جاء إليها وتغلب عليه الحيرة والخوف والجزع وضمته إلى صدرها ولا بد لها أن تتأهب له فتداري زحف العمر وأثار أقدامه البيضاء. آه .. لهذا تتكاثر الشعوب وتتناسل ويزداد حمل النساء في الحروب والأزمات وحتى في المآسي الصارخة للأفراد"[113].

تناولت الكاتبة في هذه الرواية حالة المرأة العائلية والاجتماعية لتوضح طبيعة العلاقة التي يتمتع بها الإنسان وتحديدا علاقة الشقيقة بشقيقتها ولكل منهما سجايا مختلفة ونظرات متعارضة. قدمت الكاتبة فيها تحليلا رائعا دقيقا بكل تقص وتحر لطباع الشقيقتين بهدف إثبات أن العلاقة المختارة بين الإنسان شيئ يختلف تماما عن العلاقة المفروضة عليه. وتجري أحداث الرواية في القدس المحتلة التي تنتمي إليه عائلة الأشهب ويتزامن زمنها مع زمن اندلاع الانتفاضة الفلسطينية. وتتكون هذه العائلة من الزوج ووالدته وزوجه وبنتيهما "منى" و"آمال" وولدهما الوحيد عيسى. يشغل زوجها مؤظفا ويعيش حياته الخاصة في مكان حيث يعمل حينما يبقى مع أصدقائه وزملائه في المقهى ونوادي التسلية والترفيه في المنطقة المحتلة المتنازع عليها. ويفوض مسؤلية تدبير الشؤون المنزلية ورعاية الأطفال إلى زوجته حتى يخطر ببال كل من رأها أنها تقوم بأعمالها بحرية تامة رغم تواجد حماتها التي تعاملها كشرطي قاس القلب وحارس صارم. منى هي أكبر بنت في عائلة أشهب وهي رائعة الجمال ومحبوبة لدى الجميع سوى شقيقتها. أكملت تعليمها حائزة على شهادة المرحلة الثانوية وكانت تتوق إلى متابعة تعليمها العالي ولكن قد خاب أملها حينما تم ضبطها متلبسة بجريمة العشق عقب وشاية أختها "آمال" فلم يكد يسمع أبوها حتى احمر وجهه غضبا وسخطا ووضع الحد عليها لارتكاب الجريمة وعصيان والدها وانتهاك قانون السلطة الذكوية. فمنعها من الخروج من البيت إلا في

[113] رواية ليلتان وظل امرأة ص 37

حاجة ملحة وحرمت من إكمال تعليمها العالي وأجبرها أبوها على الزواج من صديق له "إحسان الناطور" رغم معارضتها الشديدة ومقاومتها المستمرة.

بدأت منى حياتها الجديدة مع زوجها يوسف وشرع في عمل حر بعد أن زفت إليه بفتح صالون للتجميل لتقوم بإصلاح ذاتها وترميتها وتحسين وضعها الاجتماعي وتستطيع الاستمتاع برائحة من الحرية والاستقلال وحاولت استرداد شخصيتها لتحول نفسها إلى منى الأشهب وتنقذها من كابوس رهيب يلاحقها ويلازمها في حياتها اليومية دائما. كان لمنى ثلاثة أولاد واسم آخر أولادها حسام الذي توسل إليها أن ترافقها إلى مطار عمان من حيث كان يريد السفر إلى أمريكا حيث كان إخوته الآخرون مقيمين بهدف إتمام تعليمه العالي في الجامعة الأمريكية فنزل حسام مع أمه في بيت خالته "آمال" في طريقه إلى المطار التي كان زوجها غاضبا عليها وإن شقيقها كانت أصغر منها بسنين وأقل جمالا وروعة حتى كانت تعد نفسها "االغنم الأسود في العائلة وشقية دائمة الحركة متهورة وأوراقي مبعثرة منى لهم هادئة ومرتبة."[114]

إن شخصية "آمال" لم تكن ذات أثر ونفوذ لدى أفراد عائلتها مثل الشخصية التي كانت تتمتع بها شقيقتها منى وهي محبوبة ومقربة لدى الجميع وكانت مقربة من جدتها فقط التي كانت ندا عنيدا لأمها والتي كانت تقول "إن جمال "آمال" مثل عمتها التي توفيت في عنفوان شبابها فغلب عليها مشاعر جمعية متعارضة مما دفعها إلى عيش حياتها الجديدة مع عادل الذي كانت تحبه فبدا أن هذه التجربة الغرامية التي كانت توجد لديها في مجال الحب والعشق تركت تأثيرا بالغا على حياتها الشخصية ولكن تمالكت هيجان هذه المشاعر بفضل نضوج عقلها وفكرها بيد أن هده المشاعر بدأت تتصادم في داخلها فتعرضت لمطب الانفعال الذي انتهى بها

[114] المصدر السابق ص 56

إلى شخصية أخرى. وبدأت تتظاهر في كونها فرحة ومسرورة بشقيقتها منى بينما كانت تكرهها كرها شديدا وبدأت كل منهما تتدبر ضد أخرى. أكملت تعليمها العالي في الجامعة. وحاول يوسف خطيب أختها التحرش بها والاعتداء عليها مما جعلها تخوض معركة الصحافة والإعلام بعد دراسة القانون والحقوق فكتبت مقالات أسبوعية واستخدمت معلوماتها لإيجاد حل لقضيتها الفكرية التي كانت قد وقفت حياتها لها ورفعت صوتها ضد مظالم النساء وقضاياهن الأسرية والاجتماعية ولاسيما أثارت قضية الاعتداء على الفتيات الصغيرات. عبرت "آمال" عن مدى تأثير هذه الحادثة على ذهنها. "بكل تناقض هذه المشاعر احتفظت بما حدث وأنى لي أن أبوح بذلك الجرح الغائر في الروح والنفس حين أعطى أحدهم الحق لنفسه ليهمن كرامتى وأنوثتي غصبا واعتداءا رغم كل اعتدادي بنفسي؟ لهذا نجحت في الدفاع عن قضايا النساء وأبليت في تلك الخاصة بالتحرش بالصغيرات"[115].

وقعت منى في حب رجل الأعمال والتاجر الكبير عادل وتزوجا وبدأت تعيش مع زوجها حياة جديدة عن طريق شبكة العلاقات التي أقامتها على تعاليم قانونها التي تلقتها وعلى آفاق وسعت لها مقالاتها الأسبوعية وعلى أجواء جربتها مع زوجها عادل بصفته رجل أعمال. لقيت منى شقيقتها في عمان في بيتها بعد فراق طال عليه الزمن في يوم كان حسام إبن منى يسافر إلى أمريكا لمتابعة تلعيمه العالي في الجامعة وأخفت كل منهما محاولتها الجادة للتفوق على بعضها في الحياة وسعيها المستمر للانتصار في معركة الصراع. غادر حسام بالطائرة عمان إلى أمريكا فعادت الأختان وجمال إلى بيت وهنا بدأ الصراع يحتدم بين منى و"آمال" الذي انتهى بهما إلى بعض اعترافات مذهلة.

[115] المصدر السابق ص 81

العقدة في الرواية:

قامت الكاتبة "ليلى الأطرش" باختيار مدخل منسجم لروايتها افتتح بتساؤلات أثناء الحوار والمحادثة بين شقيقتين. وانتهى بصراعات داخلية وخارجية بينهما كأن الكاتبة قد حاولت تحقيق موقع لنفسها بهذا الأسلوب في مجال التحليل النفسي عن طريق أعمالها الإبداعية والأدبية الروائية. تتحدث هذه الرواية عن الصراعات النسوية السرية والمعلنة التي تحدث بين الأختين منى و"آمال" وبين جدتها وأمها والأهم من ذلك نلاحظ أن أحداث الرواية هذه تدور حول محور رئيسي تشكله عقدتا منى و"آمال".

مازال الصراع المخفي مكينا ومستحكما بين الحماة وزوجة إبنها الكنة الذي يترك تأثيرا سلبيا على زوجها وابنتيهما اللتين وقعتا ضحية له بينما يبدو شقيقهما بعيدا عن أثره لأن هذا الصراع كان يجري بين النساء فقط لذلك من الممكن أن أصفه بأنه كان صراعا نسويا بحتا ولا دخل فيه لرجل من الرجال. كلهم محيدون وكذلك لا دخل فيه ليوسف ولا دور له إلا أن يحوم حول فلك زوجتها في حين أنها لا تحبه في الحقيقة لأن أباها أرغمها على الزواج منها بينما كانت تحب شخصا آخر فكانت هي محزونة وزاد من حزنها فراق إبنها الذي لا أمل في عودته إلى أمه. أما عادل فإنه رجل الأعمال الثري ولا يعد زوجته إلا أحد ممتلكاته مما أدى إلى نشوء اختلاف فيما بينهما انتهى بهما إلى الطلاق الذي وقعت ابنتهما ضحية له. كانت منى محبوبة لدى الجميع في العائلة على الرغم من اضطرام هذه الصراعات في جوف العائلة كما أشرت إليه في السابق ولكن خلقت نواة هذا الترحيب والحفاوة في قاع وجدان منى الغطرسة والحقد والكراهية لأختها ولازمتها غيرة منها على مدى حياتها فوشت بها عند أبيها وأمها أن منى تقابل عشيقها في الخارج فلم يكد أبوها يسمع ذلك حتى انتزع سلاح سلطته الذكورية ووضع الحد عليها. كانت منى تحب

هشام من صميم قلبها وحلمت بأنها ستتزوج منه ولكنها لم تستطع تحقيق أمنيتها رغم كونها بارعة الجمال وذكية حتى قد منعها أبوها عن الخروج من البيت وإتمام دراستها الجامعية ورفضت طلب تزوجها من هشام وخالفها مخالفة شديدة. أما أختها "آمال" فكانت أقل حسنا وبهاءا من شقيقتها منى فحظيت بمرتبة البنت الثانية لدى والديهما والتي لايقيم لها وزنا ولا يأبه لأمرها أحد فلم تتمكن من نيل نصيبها من الدلال ما نالته منى ولكن احتلت محل الاهتمام والحب لدى جدتها التي كانت تكره أمها شديدا ولم تقصر في تعذيبها وإشعال الصراع الجاري في العائلة والتي كانت تقول "إن "آمال" تشبه عمتها جمالا وحسنا مما زادت من شخصيتها قوة وجرأة فبدأت تفكر في التفوق على شقيقتها منى والانتصار عليها.

تمكنت من تلقي اهتمام عائلتها بحدة ذكاءها وقدراتها فحصلت على دعم كبير ومساندة وأتيحت لها الفرصة لإكمال دراستها وممارسة القانون كمحامية وتزوجت من رجل ممن أحبته ولكن رغم تحقيقها لذلك كله هناك سؤال ينشأ في ذهن كل قارئ وهو: هل تمكنت من التمتع بسعادة الحياة الحقيقية بعد تحقيق أمانيها كلها التي طمحت إليها؟ فهناك تختفي عقدتها. توجهت منى إلى بيت أختها "آمال" في طريقها عائدة إلى بيتها من المطار بعد تودعة إبنها حسام وليس اشتياقا إليها بل ذهبت لإشعال شرارة الصراع مجددا والانتقام منها فتقول: "أنت إنما أتيت تبحثين عن تلك الصغيرة فيها .. تريدينها أن تصرخ وتلطخ نفسها بالتراب كما كانت .. أن تبكي وتبكي حتى تختلط المياه المتسربة من فتحات الوجه المترفع .. فتفرحين ..". [116]

لقد قسمت الكاتبة هذه الرواية إلى ثمانية فصول ويحمل كل فصل من فصولها عنوانا مختلفا. يتحدث الفصل الأول عما عانت به منى من أزمة ونلاحظ تتبع تفاقم هذه الأزمة في الفصل الثاني وعنوته الكاتبة "الليلة الأولى/ أين هو الآن".

[116] المصدر السابق ص 12

لاحظت في هذا الفصل ما تعرضت له منى من أبعاد هذه الأزمة منذ ولادتها حتى زواجها من عادل ثم انفصاله عنها وعنونت الكاتبة الفصل الرابع "اليوم الأول/ السيدة مشغولة دائما". ولاحظت في هذا الفصل أن "آمال" قامت باعترافات ويحمل الفصل الخامس عنوان "اليوم الثاني/ رحلة ليلية" ويتضمن هذا الفصل حوارات جرت بين منى والخادمة الآسيوية واتضحت لمنى من الأمور عن أختها وعلاقتها مع زوجها الذي كان يكن في قلبه من الكره والبغض ما لا تتمكن من إدراكها عند مقابلة مباشرة. وعنوان الفصل السادس هو "اليوم الثاني/ امرأة مدلهة" ولاحظت في هذا الفصل اعترافات متتالية قامت بها "آمال" بطريقة جهورية وسرية أمام منى ويحمل الفصل السابع عنوان "اليوم الثامن/ ثورة مستكينة" وتناول هذا البحث تمرد "آمال" على أطماع زوجها عادل الذي حاول امتلاكها واستغلالها ولم يظهر عزمه على الزواج منها فشعرت بألم شديد وتركته وابتعدت عنه لأنها كانت تريدها أن تركع عند قدميها بينما أرادها عادل أن تجري وراءه وتكون رهن إشارته فكان كل منهما متورطا في الحب على طريقته الخاصة. أما منى فإنها كانت قد اعتادت على يوسف ولا يمكنها البقاء بدونه. وتتضح هذه الصورة بوضوح أكثر في الفصل الأخير الذي عنوته الكاتبة "الليلة الثامنة / الانهيار". وتحدثت الكاتبة في هذا الفصل عن مدى تأثير السلطة الأبوية على مجرى الحياة ولاسيما تأثيرها على العائلة العربية وفي هذه الرواية تأثيرها على عائلة الأشهب واضح وساطع مما أدى إلى تمهيد الطريق نحو تكوين ظروف مناسبة للصراع بين أمه وزوجه وتولدت من هذا الصراع العقدة وحينما أراد زوجها أن يقدم على التدخل في معالجة أزمة كانت تعاني منها إبنته منى حدث دمار كبير. إن الرجل في هذه الرواية لامهمة له ولا وظيفة سوى أن يرغب في إمرأة ويتزوج منها.

قدمت الكاتبة "ليلى الأطرش" في هذه الرواية صورا ثلاث للمرأة ومنها صورة الحماة التي تتمثل بامرأة تقليدية في الأسرة العربية وصورتها الكاتبة خير تصوير. ونجد ابنتها "آمال" التي هي رائعة الجمال تقع ضحية الصراع العائلي الذي يجري بين أمها وجدتها والتي حرمت من التعليم العالي حتى قد حظرت من الخروج من البيت فانحصرت حياتها على بسيط وجربت حبا فاشلا في حياتها التي تحولت إلى كابوس بالنسبة لها والصورة الثالثة هي صورة إبنة أخرى لها طموحات وأحلام مع أنها ذات الجمال العادي ولكنها هي فلذة كبد جدتها التي ساعدتها في إقناع والدها بأن يسمح لها بمتابعة التعليم ويزوجها ممن تحب فعاشت حياة رفاهية في البداية ولكن مالبثت أن ابتعد عنها زوجها نظرا إلى الصراع المستمر الذي كان يجري بين أمها ووالدها.

إن الذكور متهمون بأنهم يحملون قلوبا قاسية وطباعا غليظة ويستغلون سلطتهم وسطوتهم مما يسبب شقاء الشقيقتين والفشل في حياتهما. وأما هشام فإنه هو الوحيد الذي تبدو صورته نقية في الرواية ما وجدنا عنه إلا شيئا واحدا وهو أنه اعترف بهزيمته وانتهى ذكره. وأما يوسف فقد وصفتها "آمال" بأنه وغد وخائن كبير بينما كانت زوجته منى تتمتع بالحديث معه عن مظاهره المثالية.

إن القاسم المشترك بين رجال هذه الرواية هو أن كلا منهم قاسي القلب وغليظ الطبع وتسبب في المشكلة والمعاناة للمرأة التي لم تقدر بهذا السبب على تحقيق طموحاتها وتطلعاتها وحتى لم تستطع تحقيق ذاتها في عمل السوق أوحياتها اليومية أوداخل الأسرة. ويدل على ذلك الموقف غير المناسب الذي اتخذه عادل وتظاهر في حبه لها ولكن بدأ يختلق الأعذار للابتعاد عنها بعد مدة من الزواج وحتى في شهر العسل وما إن وجد الفرصة إلا ربط نفسه بامرأة أخرى وتعلق بها. وطال زمن غيابه عن المنزل وكان يدعي أنه على رحلة تجارية مهمة ولكن يكتشف

ل"آمال" بعد أيام أمره وسر غيابه عن البيت فعرفت أن المرأة التي يتعلق بها زوجها هي أكثر جمالا منها.

يبدو أنه قد خسرت الأختان كلاهما جولة الحياة ولا ريب في ذلك فإن منى اقتنعت بما نالت في حياتها من زوجها وأولادها الثلاث وصالونها للتجميل ولم تتطلع إلى أكثر من ذلك في حياتها بعد ذلك وحاولت إقناع نفسها بسعادة حياتها ولكن واصلت "آمال" محاولتها لبلوغ أمانيها وتحقيق أحلامها وكانت تحمل في قلبها الإرادة الصخرية التي تجعلها تنتصر على كل ما تريد وتتفوق على كل الفتيات الأخريات.

إن "ليلتان وظل إمرأة" هي رواية تتحدث عن رحلة جريئة لاستبطان الفضاء الداخلي لشقيقتين باعدت بينهما حياتهما. ولا شك أن منى وأمها لم تتمكنا من التمتع بحرية الإرادة، فلو كانتا تمتعتا بالحرية لما للأيام أن تطوح بهما، أو تمارسا التمرد على استلامهما الذاتي. أما "آمال" فكانت متميزة منذ صغرها بإرادتها الحديدية القوية. فإذا أرادت تحقيق شيئ أصرت عليه إصرارا شديدا حتى أن يتحقق لها ذلك.[117]

<u>قوة الماضي:</u>

وردا على الذاكرة التي تزيدها نشاطا في استرداد زمنها الماضي تنقلنا الكاتبة إلى زمن أبعد من زمن القصة الذي ابتدأت فيه وهو الزمن الذي قامت بافتتاح صالون التجميل للسيدات، ولأن الزمن الماضي تأثر طعما ولونا ببؤرة الواقع فإن الذاكرة لا تتطلب منه إلا ما يسلط الضوء على الواقع وهو زمن يخرج "آمال" ليتضح لها أن الصالون بائس وضيق، زبوناتها سخيفات وليس حدود لمطالبهن وإن معداته في حاجة إلى تحديث وهو قهر وسمة جسم.[118] وإن أكثر ذكرياتها إيلاما في سياق

[117] رواية ليلتان وظل إمرأة ص 42
[118] المصدر السابق ص 43

الزمن الماضي الذي يبدو مملوءا بالحسد والغيرة هي خطبة تقدم بها عادل لآمال فتوافق هذه الأخيرة على الفور مؤكدة أن العلاقة بينهما يرجع تاريخها إلى زمن بعيد وأنه كان زبونا مفضلا لمكتب المحاماة فتمردت هنا منى: "لماذا لم تعلمني؟ أليست هي شقيقتي؟ ولماذا قد حرم علي الحب وقد حلل نفس الشيئ لها؟ ولماذا يسرون بحبها ويرفضون حبي له؟"[119]. وانفتحت لها هوة شديدة حيث أنه قد تم المقارنة بين عادل ويوسف فازدادت كرها وبغضا لهذا الأخير.

صورة مزدوجة لإمرأة واحدة:

إذا تأملنا هذه الرواية بدا لنا أن كلا من الشقيقتين في الواقع استعارة مختلفة تعرب عن نفس الشيئ وإن الشقيقتين تمثلان وجهين لإمرأة واحدة فإذا مشت في هذا الطريق كانت "آمال" وإذا مشت في طريق آخر كانت منى وهناك نتيجة واحدة وهذا هو ما يسمى بالتفكيك الظاهري لشخصية المرأة والتعامل معها من حيث السرد وكأنها تتمثل بشخصيتين وهذه لعبة تقنية وفنية كما أشار إلى ذلك عنوان الرواية "ليلتان وظل إمرأة". فكل من الشقيقتين منى و"آمال" في الحقيقة تمثل ظلا مختلفا لنفس المرأة العربية فمن الممكن أن يكون هذا الظل قصيرا أو طويلا ولكن من المعلوم لدينا أن الجوهر هو واحد فقط وإن الإشكالية واحدة وإن استخدام الكاتبة لأسلوب زوايا النظر والأصوات المتعددة في سرد وقائع الرواية وحوادثها يخدم بنية الرواية التي تعتمد على تأطير الزمن بأشكال تقوم بمراعاة تأثره بما يجري بداخل النفس. ففي هذه الرواية هو لا يمشي خطيا وكذلك لا نجده يدور على طبق دورة عقارب ساعة وإنما نجده متقطعا ومتكسرا ومتشظيا وفق ما يدور داخل النفس من اندفاع إلى الزمن الماضي كذلك تداعيات ينبعث منها النكوص إلى الزمن الحاضر بكل ما يتوافق مع التقنية السردية المعتمدة على المونولوج الداخلي.

[119] المصدر السابق ص 52

إن هذه الرواية توضح بكل وضوح أن الكاتبة وظفت في بنيتها السردية أسلوبا مألوفا ومعروفا في فن الرواية وهو تلون زوايا النظر وتقوم على التحليل النفسي ليتأثر الزمن في الشخوص واستيعاب كل حفرة الزمن على شاشة عقله الأبيض من وسمات متألقة أو سود مظلمة وفي نهاية المطاف هي محاكمة لنظرة الجسور والروابط التي تجعل المرأة ترتبط بالرجل كأب أو أخ أو زوج أو حبيب. وفي النهاية نلاحظ أن هذه المحاكمة تدين المدعى عليه في أداء روائي يربط بين تقنية المونولوج والحوار والسرد والوصف والتحليل الوظيفي للشخصيات والتلون في استعمال الضمائر المشكلة لبنية المنظور السردي وتعدد الراوي.

الفصل الثالث: قضايا المرأة في رواية مرافئ الوهم

تجري حوادث هذه الرواية في ثلاثة اتجاهات ويمثل كل خط منها حبكة فرعية مجاورة ومتقاطعة مع الحبكتين الأخريين. بدأت الحبكة الأولى بعد ما انضمت شادن الرواي الصحفية إلى قناة خليجية وإماراتية حيث تقوم بإعداد برامج تلفزيونية لها وتسجيل برامج سياسية مع كفاح أبوغليون الإعلامي الذي يحمل طابعا سياسيا والذي نجا بأعجوبة في عملية اختطاف أدى إلى تدمير قسم من مبنى جريدة اليوم في لندن. وكذلك قدر لها أن تفوض إلى هذه الإعلامية مسؤلية إعداد هذا البرنامج لمقابلة رجل سياسي وصحفي كان سكريتير تحرير في صحيفة القدس منذ حوالي عشرين عاما. فتعرفت على شخصيته للمرة الأولى وأعطت له روايتها التي كتبتها في تلك الفترة فتعرف عليها وشجعها وأشاد بإنتاجها الأدبي ووعدها بأنه سيبذل كل ما في وسعها في نشر روايتها وكما شاء القدر أن تشق هذه الزيارة لجريدة القدس طريقا نحو إنشاء علاقة غرامية بين "شادن" و"كفاح" اللذان قررا الزواج عقب العديد من المقابلات والحوارات فيما بينهما ولكن ما لبثت أن اكتشفت "شادن الرواي" أن "كفاح أبوغليون" الذي يتبع الدين المسيحي ليس مخلصا في حبه ولا صادقا في هذه العلاقة الغرامية مثلها وعملت بأنه يتعلق بالكثير من الفتيات مما ألجأها إلى ابتعادها عن حياته فارتبطت بعد زمن قصير بالمحامي "محمو أبو طير".

بدت لشادن الراوي في بادئة الأمر أنها مسرورة وهذه العلاقة جاءت لها بسعادة كثيرة في حياتها اعتقادا بأن المحامي حقا قد وقع في حبها وأن كل شيئ في حياتهما يجري على ما يرام ولكن بعد معدة قصيرة اتضحت أن هذا المحامي أيضا رجل كاذب وخادع خانها مع إحدى زبوناته في المكتب فتوترت العلاقة بينهما واشتد

الخلاف وقررت شادن طلب الطلاق. وبدأت تعيش منطوية على بعض أسرار حياتها التي قد دفنت فيها قصة حبها الفاشل وزواجها الذي انتهى بالانفصال والتفريق فهي حاولت الآن تحقيق ذاتها المفقودة وإعادة اكتساب عيشها بالعمل الدؤوب وعن طريق تقديم إنتاجها الأدبي.

ولكن شاء القدر أن يسوقها إلى لندن هذه المرة لتلقي برجل تعتبره جزءا كبيرا هاما من حياتها الماضية الدفينة بالنسبة لها وحينما حاولت إيقاظ ماضيها في نفسها بدأت مشاعرها تستيقظ أيضا وعلمت "شادن" بأن "كفاح أبوغليون" الذي كان يدعي أنه أحد المناضلين الفلسطينيين الذين شاركوا في صفوف المقاومة في عمان ودمشق ولبنان ما هو في الحقيقة إلا شخص خائن وكاذب ورجل انتهازي يتحين الفرصة ليغتنم بها ولم يكد يجد الفرصة حتى يحاول تحقيق مصالحه الشخصية ويتنازل عن رفقاء الأمس وقلب لهم ظهر المجن فهاجم الجميع مقالاته وانكشفت عمالته لعدة تنظيمات عربية وإيرانية. حاول كفاح أبوغليون أن يقشر جرح "شادن" ويقوم بالتشهير بعلاقته القديمة بها ويخبر بها "سيف العدناني" المخرج الذي يصطحب الفريق التلفزيوني. وفي النهاية أكمل موقفه الانتهازي بعدما أحضر زوجتها نهاد إلى الفندق كي تتعرف على شادن وكأنه يسره أن يمنحها ضربة عنيفة أخرى بعد الضربة الأولى "حقير كان يجب أن أقبل .. لهذا أصر على دعوتي![120] ليريني ما استبدله بي .. أكرهك ياكفاح أبوغليون". ترى شادن أن هذا الموقف يسبب لها الكره والانقباض في قلبها ولكن لم يصدقه "سيف العدناني" واعتبره موقفا يدل على فقدان الذوق.

أما الحبكة الثانية التي أخذت المساحة الكبرى في هذه الرواية فإنها قصة "سلاف" مع زوجها "جواد الجبالي" الذي هو مهندس وينتمي إلى العراق. تزوج الدكتور "جواد" من "سلاف" على الرغم من أن عائلته الجبالي الشيعي ذي الماضي الشيوعي لا توافق هذا الزواج وتعتبر أن هذه العلاقة الغرامية لست مبنية على

[120] رواية مرافئ الوهم ص 129

التعاون والعشرة بين فريقين. تعرف "جواد" على "سلاف" في عرض مسرحي من العروض التي كان يحضرها لأنه نهم كبير في كتابة المسرح وهو يهتم كثيرا بالفن والأدب فنظر إليها وهي في رفقة خالتها الممثلة لميعة التي كان يشك فيها لا لشيئ إلا أنها تبنت طلفلة صغيرة وكانت تقوم بتربيتها لأن أباها قد توفي وعزمت على تعليمها وتثقيفها في مجتمع حيث لا يؤمن الرجال بإنسانية المرأة فعدها سيئة السمعة واعتقد بأنها تمارس الحرام ولا تتزوج ولكن رغم ذلك شعر "جواد" بأنه يندفع إلى "سلاف" ووقع في حبها وعزم على الزواج منها "بدأت قصتنا يوم رأيته مندفعا طويل القامة والأهداب وحاد النظرات ومستدير الوجه وكان يرتدي بذلة رمادية يمازح الأخرين ويلقاهم باحترام كثير. توقف في كواليس مسرح الفن الحديث ببغداد ورحب بخالتي لميعة في تحية عاصفة فرأيت له وجها أخر.. ردت بمثلها وضحكا ثم قدمتني إليه وظل بصره مغروسا في وجهي"[121] وبعد عدة أيام قرر "جواد" الزواج منها غير مبال بمعارضة عائلته وسافر معها إلى لندن.

بدأت "سلاف" تقضي وقتا ممتعا مع زوجها في لندن وأنجبت طفلة سمتها بأمل ولكن بعد زمن قصير بدأ الخلاف ينشأ وواجه كلاهما المشاكل التي انتهت بالطلاق الأول ثم عدل زوجها عنه ثم وقع الطلاق الثاني بينهما وسعى كل منهما إلى حل هذه المشكلة من جديد من خلال عقد الزواج في مسجد من مساجد لندن ولكن ما لبثا أن تفاقمت المشاكل وتوترت العلاقات بينهما أكثر فوقع الطلاق الثالث. فغادرت "سلاف" لندن إلى الإمارات العربية المتحدة وشاء القدر أن تجدي فرصة العمل مع شادن الراوي وشاركت معها في الفريق التلفزيوني الذي كلف بالسفر إلى مدينة الضباب لعملية التسجيل والتصوير مع كفاح أبوغليون. وأما "جواد" الجبالي فإنه استلم مكالمة هاتفية من إبنته أمل التي تبلغه بأن والدتها "سلاف" تقيم في هذه الأيام في لندن وتخبره باسم الفندق فاتصل بها وحاول إعادة الحصول عليها بالقوة

[121] المصدر السابق ص 71

لأول مرة ثم بإقناعها بحبه الشديد لها ومدى اشتياقه لها فبدأت "سلاف" تستعيد ذكرياتها في الزمن الماضي الذي عانت فيه من العديد من الوقائع والحوادث الصغيرة وكذلك تذكرت الأمكنة التي زارتها في لندن معه والمطاعم والفنادق التي تناولت فيها الطعام معا وقضتا أمتع أوقات حياتها الزوجيه وتذكرت مدى انفعال شعر به "جواد" عند ذلك الوقت ولكن رفضت طلبه وأخبرته لم تعد مهتمة بحياته وحياتها الماضية رغم طلبه للصفح والعفو ألف مرات. أصيب بعد عدة أيام "جواد" بجلطة دماغية فتم نقله إلى المشفى على إثرها وقررت "سلاف" البقاء إلى جانبه نظرا إلى حالة صحته السيئة وعزمت على عدم الرجوع إلى الإمارات حتى بعد انتهاء مهمة فريقها التلفزيوني. واقترضت بعض المبالغ من شادن التي قالت لها: "مادمت تحبينه فلماذا لا تعودين إليه؟ فأجابت على سؤالها قائلة بأن الحب في هذه اللحظة لا يهمها ولكنها لن تتخلى عنه"[122].

أما الحبكة الثالثة فهذه تتعلق بسيف العدناني المخرج الذي يسافر إلى لندن في رفقة الفريق التلفزيوني المتكون من شادن و"سلاف" والمصور وفني الصوت. وإن "سيف" يمثل شخصية هامة جدا فإنه مقترن بشادن منذ يوم تعرف بعضهما على بعض وينتمي "سيف" إلى قبيلة عربية أصيلة انتشرت أحفادها في عدة دول خليجية. فإنه وجد فرصا لزيارة العديد من الدول النائية بما في ذلك أفغانستان وغيرها وفي أثناء مدة أسفاره إلى الدول الخليجية تعود على بعض العادات التي لا توجد في المطقة الخليجية منها تعاطي الخمر والمخدرات والحشيش ولعب الأوراق. وفي أثناء حوار أجراه معه كفاح أبوغليون وهما على مائدة الخمر نم "سيف العدناني" بما لم ينم به قط من قبل فحاول أبوغليون أن يعرف بعض أسرار حبيبته الماضية شادن الراوي فاستطاع كفاح أن يعرف دنيا "سيف" من الداخل واطلع على ذكرياته في أفغانستان حيث قضى بعض أيام حياته مع المجاهدين لتنظيم طالبان وإحضاره

[122] المصدر السابق ص 156

للمخدرات إلى بلده والتعاطي عليها وكذلك عرف عن مغامراته النسوية .. ورأيه عن المرأة والسياسة وأصحابها والأجنبيين ولكن مازال كفاح يتحدث عن أيام زمنه الماضي وأوقاته التي قضتها مع النساء في بيروت وخارجها وباح بما كان قد أضمره من أراء ولم يبح بها لغيره من الأخرين من قبل مثل علاقته بالفدائيين التي كانت مبنية على الغدر والاستغلال.

أما "سيف" الذي كان قد أصبح معتادا على لعبة القمار ويتردد إلى نوادي في الفندق فاتفق له أن يتعرف على فتاة من الخليج العربي واعتقد بأنها إحدى الأميرات اللواتي يزرن إلى النوادي مثلها فاستنتج من تبادل النظرات والابتسامات واستعدادها لتسديد بعض ما خسره في حياته أنها تتفق على الذهاب معه لقضاء الليل في جناح خاص بها فانسل إليها في خفية ولكن الحرس قد أدركوا نيته فاستقبلوه ركلا ولكما ولو لا تقدم السفير لحل هذه المشكلة لكان قد تم طرده هو وفريقه التلفزيوني في نفس الليل من لندن بدون تأخير. ولكن لم تغير هذه الحادثة طباع "سيف العدناني" ومازال يتردد إلى فتيات وظهر من كلامه أنه لا يقيم وزنا لزوجته وقد اعتاد على خيانتها مع إمرأة اخرى. حينما يتكلم عن زوجته نور التي تزوج منها مع أن عشريته غير موافقة على هذا الزواج لكونها تنتمي إلى شريحة منبوذة بالمقارنة إلى طبقة أسرته. والأسوأ من ذلك كله أنه لم يكن يعتبر هذه المغامرة النسوية عمل خيانة ولا يسئم هذا الرجل عن الحديث عن محاسن شادن وفضائلها "وهذه المرأة تضع الحدود حيث تريد ولن تسمح لأي أحد بتجاوزها .. شادن امرأة غيرعادية .. ليست منغفلة ولا معقدة .. وبالعكس طبيعية مرحة تفرض احترامها على الرجال والنساء .. هذه إمرأة ذات عقل وثقافة وهي جميلة. نعم ! لكنها مختلفة صنف من النساء ليس كالنساء .. هكذا جبلة وحدها .. ليست من صنف الحريم .."[123]

[123] المصدر السابق ص 63

تنوع الأصوات:

إن الكاتبة وظفت في هذه الرواية تقنية تنوع الأصوات على النمط الذي لاحظنا فيه إنتاجها الأدبي الأول فنحن نبدأ في قراءة القصة بسماع مونولوغ طويل وصل بنا إلى عالم شادن الراوي الداخلي المفتوح على فترتين زمنيتين أولهما تمثل الفترة الحاضرة وثانيتهما تمثل الفترة الماضية. ففي بداية الرواية نقرأ: "يفرض القدر شروطه من جديد فيلقى بك في طريقي على عكس ما توقعت أو تخيلت وقد تحاشيت لقاءك طويلا"[124]. والقارئ يتوقف حسب ما تقتضيه طبيعة الحال عند ضمير المتكلم وهو استخدم لشادن الرواي التي تقوم بتأدية دورين في القصة أحدهما دور الراوي في عدة أجزاء من السرد وثانيهما دور البطلة التي تعشق الصحفي البارع وينتهي الأمر إلى اكتشاف خيانته وخداعه فتتخلى "شادن" عن حياته بدون ضجة أوصخب والثاني هو المخاطب (بك) و (ولقاءك). فإن الشخص الذي تم الإشارة إليه هو كفاح أبوغليون.

ونلاحظ أن هذا النوع من الدور يستمر في فصل كامل قد امتد من مستهل الرواية الذي أفضى بالقارئ إلى بيئات الروايات والمقابلة العاصفة في لندن ثم تم استخدام صورتين متلازمتين في فصلها الثاني وهما: كفاح أبوح غليون و"سيف العدناني" فإن كل منهما يستعيد ذكرياتهما في الزمن الماضي في الحديث الذي يدور بينهما في الفندق الفخم[125] بما فيها مغامرته وعلاقته بالنساء والأسفار إلى مختلف أقطار العالم وفي هذا الحديث ينم كل منهما بما كان قد أخفاه منذ مدة من الزمن. وهذا أحد مظاهر سرد متقطع يحكي فيه "سيف" قصة حوادث وقعت له في حياته في أفغانستان وخارجها وكذلك يسرد قصة زواجه بنور التي قدمت للحصول على عمل في قناة تلفزيونية. ونلاحظ أن هناك مونولوغات خفية تتخلل الحديث كالعادة

[124] المصدر السابق ص 10
[125] المصدر السابق ص 29

وبدأ يفكر كل منهما في تشويه سمعة صاحبه والتعرف على بقايا أسراره "على مين كفاح أبوغليون؟ ثقيل وشاطر ياسيدي! لاتريد أن تبدأ .. وتعتقد أنك ستغلبني بذكائك؟ في المشمش سأجرك لتعرف لأنني أكثرصبرا .. صحافي كبير وبيع الناس كلاما والله ستفتح أوراقك كلها أمامي وعلى المكشوف"[126] فرد عليه يقول أبوغليون لنفسه "هذا رجل صعب لا يؤخذ بسهولة فاصبر لعل العرق يحمل لك الفرج"[127]. إن كلا منهما يضع فخا وشركا لآخره بهدف اصطياد صاحبه فيه. ويستمر هذا الحديث الثنائي حتى بداية الفصل الثالث. إن "سلاف" بدون شك تعجب بشخصية شادن إعجابا شديدا ولكن لا ينحصر صوت "سلاف" على هذا الاتجاه التشخيصي الذي تستمد الكاتبة منه لإنارة جوانب أخرى لشخصية شادن وإنما تنتقل إلى حكاية قصتها مع "جواد الجبالي" "بدأت قصتنا يوم رأيته .. مندفعا طويل القامة .. والأهداب"[128].

إن ماروته الكاتبة متشعبة في عدة جداول وروافد تقوم بتغنية السرد المكثف وبعثت فيه حيوية لا يمكنها أن تتحقق إلا به فإن "سلاف" تتحدث عن خالتها لميعة والطفلة الصغيرة التي قد تبنتها والتي غابت عن بيت الخالة الممثلة فجأة وعن "جواد" الذي يتعامل معها في تسامح قبل أن يتزوج منه. تتخلل ذلك فقرات في الزمن. تركت "سلاف" ماضيها لحاضرها الذي ينطوي على حلم خائب وطلاق بائن بينونة كبرى وشخص مدنف يسعى إلى استعادتها بكل الوسائل بدون فائدة ويتواصل هذا الدور في الفصل الرابع. لا شك أن ابنة "سلاف" أمل كانت قد شاركت في الحديث غير أن هذا الاشتراك لم يدم طويلا ولكن من الممكن أن الكاتبة قد استغلتها لتقدم صورة "جواد الجبالي" بالتركيز على عنصر الشبه بين أمل وأبيها "أمل تشبه والدها "جواد الجبالي" لم يكن قد حصل على الدكتوراة حين التقيت به .. متمرد بطبيعته وعاشق للفن والحياة.. رافض لتزمت عائلته من الملالي والأئمة .. خضع

---

[126] المصدر السابق ص 44
[127] المصدر السابق ص 48
[128] المصدر السابق ص 71

لإصرار أبيه على دراسة الهندسة يوم وقف في طريق التحاقه بكلية الفنون"[129]. ويساعدنا هذا الصوت في التعرف على جاسم الحميلي الذي يعتبره "جواد" رجلا جاهلا وبربريا وسمج الأخلاق منذ أن حاول إقامة علاقة ب"سلاف" حينما وجدها في المسرح في رفقة خالتها لميعة ولكن لم ينجح في محاولته فسعى ثانية عندما رأها في لندن وهو الذي أدى إلى حظرها من العودة إلى العراق بسب عملها في إذاعة لندن التي اعتبروها إذاعة معادية لها واحتجوا بأن عملها في الإذاعة قد يسبب إفساد الأمن والسلام في البلاد. "نصحتني لميعة أن لا أعود وسمعت لأول مرة أنني مطلوبة أمنيا. أكدت أن إسمي مسجل على منافذ الحدود. انتقم جاسم الحميلي من هروبي و"جواد" بتهم ملفقة فبكيت طويلا بحرقة"[130]. هكذا نجد أن السياسيين والعسكريين يخلطون الحب بالواجب الإنساني نحو الوطن وأمنه وسلامته.

فما زال شبح الحميلى المظلم يلاحقها ويسبب لها خلافات مع زوجها أدت إلى الطلاق بينهما "انزوينا بالفجيعة صامتين ثم بدأت بالبكاء بينما تسلل هو خارجا يجرجر بؤسنا ولم تعد"[131]. تتذكر "سلاف" الساردة حوادث وقعت في الزمن الماضي ووقائع تحدث في الزمن الحاضر. يحاول "جواد" استعادتها ولكن قد توقف هذا الصوت ويتم تصوير جزء البرنامج كأن هذا الفصل الخامس هو فاصلة بين جملتين أو نقطة بين فقرتين تحاول "سلاف" استئناف دورها في سرد الوقائع في السادس. وتتمرد "سلاف" وعلى وجهها علامات ثورة عارمة، وغضب شديد حينما طلب منها العودة إليه تحت وسيلة زواج المتعة أو من خلال اللجوء إلى المحلل طبقا للشريعة الإسلامية واتهمته بالأنانية بينما يتهمها بتصلب القلب وتحجر المشاعر ولكن لم

[129] المصدر السابق ص 92
[130] المصدر السابق ص 96
[131] المصدر السابق ص 101

يغير ذلك كله قرارها "لا أتصور أنك قاسية وحقود ماذا تريدين؟ أنا لا أعرفك أبدا مستحيل .. لست "سلاف" الرقيقة .. لا .. أنت مجرمة وقلبك حجر".[132]

وصفته "سلاف" في بعض الأحيان بأنه عابث وأناني والمخمور والسافل ووصفها "جواد" بأنها أبشع النعوت ولكن في نهاية المطاف بعد الفراق منه تلقت "سلاف" رسالة فاجعة ومؤلمة عنه وتغير كل شيئ.

يتسم "أبوغليون"، و"أبوطير"، و"سيف"، و"جواد" كلهم بصفات متشابهة ومن أهمها أن كلا منهم فطر على خيانة زوجتها مع إمرأة أخرى وتم ضبط اثنين منهم متلبسين في جريمة الخيانة الزوجية ويقر "سيف العدناني" عدة مرات بتورطه في هذا المرض بكل صراحة وكان على وشك الوقوع في ورطة خطيرة ولكن أنقذه حرس الأميرة الخليجية في الفندق والسفير الذي أقدم على التدخل في ذلك الأمر. وتكتشف لشادن مغامرات جواد الجنسية وطبيعته السيئة حينما يخبرها رشيد بقصته الغرامية مع عشيقته أنجلينا وبالإضافة لذلك ينقصه الذوق وحسن الأخلاق ويتخلى عن المبادئ وهو رجل انتهازي وطماع يحاول دائما بلوغ مناه مهما تكن الوسائل ومهما يكلفه الأمر. يعمل "جواد" بصفته عميلا في بعض التنظيمات المشبوهة الذي يفضل مصلحته الذاتية على مصالح الوطن ويدعو إلى أفكار ومبادئ ترفض الانحياز ضد المرأة ولكنه لا يجد فرصة إلا ويقوم باستغلالها في حياته. وكذلك يدعي سيف أنه يحب زوجتها كثيرا ويذكر قصته الغرامية التي قدم فيها تضحية للحصول على حبه ولكنه لا يشعر بشيئ من الخجل في إبداء استعداده الدائم لممارسة علاقات جنسية مع إمرأة بعد أخرى دون أن يعتبرها خيانة وهو دائما على استعداد كامل لممارسة أبشع الأفعال وأفظعها. كان يداوم على شرب الخمر وتعاطي الأفيون والحشيش والاعتداء على النساء والتمتع بلعبة القمار في أفخم النوادي الليلية ولكن رغم ذلك كله كان يتمتع ببعض خصائل جيدة أيضا. كان صريح الكلام وصادقا فيه ولكن لم

[132] المصدر السابق ص 141

تعتبره الكاتبة "ليلى الأطرش" شخصية تستحق العز والاحترام والتقدير رغم بعض خصائله الحميدة لأنه لم يكن مختلفا عن "أبوغليون" أو "جواد" أو "محمود أبوطير". طلب "أبوغليون" من "شادن" أن تنسى كل خيانته وتعود إليه وكذلك يطلب أبوطير من زوجتها عدم الاستعجال في اتخاذ قرارها ويلتمس منها أن تتجاوز أخطاءه وكما يطلب "جواد الجبالي" من "سلاف" أن تصفح عنه وتتريث قبل الإقدام على اتخاذ موقف حاسم وتفكر في حياة طفليهما أمل وعلي وتعود إليه في كل حال من الأحوال. كل منهم قاتل وضحية في وقت واحد. وبمتابعة هذه القراءة يمكن أقول إن الرجل في هذه الرواية خائن وطماع ووصولي وانتهازي وتقليدي ومتخلف يستهتر عرض المرأة غير مبال بالقيم والأخلاق والتقاليد.

خاتمة البحث

يبدو أن الوعي النسوي يتغلب على الكاتبة "ليلى الأطرش" الذي دفعها إلى الاهتمام بقضايا المرأة والالتزام بهمومها ومعاناتها في مسيرتها الأدبية نحو العدالة والمساواة في المجتمع البشري العربي، ويدل على ذلك إنتاجها الأدبي، وعملها الإبداعي، وجرأتها على طرح القضايا الاجتماعية والوطنية والذاتية المتعددة في كتاباتها. وتمكنت من خلال أعمالها الأدبية الرائعة من تجسيد مفهوم حرية المرأة. واستطاعت اختراق الأسرار النفسية، وإدراك واقع المرأة الاجتماعي. واستخدمت فن كتابة الرواية كأداة استيراتيجية للخروج من الصمت ولتمهيد الطريق نحو التحرر والاستقلال. اتخذت الكاتبة من الرواية وسيلة للتخلص من مظالم الأسرة والمجتمع والدفاع عن الوطن، ثم منحت شخصيات الروايات دورا مناسبا حسب ما رأتها التي قد رسمها خيالها، لتقدر على كسر القالب الذي ألقيت بالمرأة فيه ولتحقق طموحاتها وتطلعاتها.

قدمت الكاتبة شخصية الرجل في رواياتها التي بنيت عليها البحث كشخصية سلبية مع درجاتها المختلفة، ومراحلها المتفاوتة، بينما نجد صورة المرأة فيها هي صورة نمطية، وصورة الأب هي صورة رجل قاسي القلب يضع الحد على إبنتها في رواية "ليلتان وظل امرأة" حينما عرف بأنها تحب رجلا وتخرج من البيت لمقابلته فحرمت من التعليم الجامعي ومنعت من الخروج من البيت ويمثل زوج "نادية الفقيه" شخصية رجل غير المتفهم. أما "جلال الناطور" فيمثل شخصية رجل مثقف وطماع ووصولي في رواية "امرأة للفصول الخمسة"، فتصور هذه الصورة لوحة سوداء للرجل في حياة المرأة الاجتماعية، وفي مخايلها الإبداعية، وتخيلاتها الفكرية. والجدير بالذكر أن المرأة بدأت تشعر بعد ذلك كأن حياتها مقيدة في يد الرجل الذي قد

حاصرها من كل جانب، فهي تعتقد بأنها قد تحولت إلى حصن قد تم تدمير أسوارها، ويهاجم عليها الأعداء ليستغلوه.

بدا لي أن الكاتبة كأنها قد سلبت قوة الرجل الذكورية في رواياتها، فقامت بتشكيلها كما شاءت مستلبا ومتناقضا. ولا شك أنها بالغت في ذكر الأحوال النفسية وسلبياتها. وغالت كثيرا في تمثيل ممارساته التعسفية والقمعية. بينما لاحظنا أن المرأة تقدم على ممارسة أعمال المناضلة والمقاومة والمكافحة في مقابل الرجل، ومع ذلك كله تعاني من اضطهاد الرجل واستغلاله في فترات زمنية مختلفة في حياتها. إن بطلة رواية "امرأة للفصول الخمسة" "نادية الفقيه" رغم تصرفاتها السلبية في المرحلة الزواجية الابتدائية تصبح سيدة الأعمال الناجحة في لندن، بينما يعاني زوجها "إحسان الناطور" بعد توتر العلاقة بطويل العمر من المأساة. وتحل به الكارثة فتقدم هذه البطلة "نادية" على إنقاذه. وأما "جلال الناطور" الذي تحبه نادية في أول الأمر يمثل رجلا انتهازيا، ويتورط في صفقات الأسلحة السرية المشبوهة، ويحاول استغلالها والتحرش بها رغم تزوجها من شقيقه "إحسان الناطور." وكذلك تعرضت "شادن" و"منى" و"سلاف" لاضطهاد الرجل وقساوة قلبه منذ طفولتهن وعانت من تمييز المجتمع الذكوري، حتى تمييز أهلها وأقاربها، وفي زمن بلوغهن الذي حرمت فيه من التعليم، وجعلوها تحت رقابة الرجل الذي كان يقوم بتنفيذ لائحة الممنوعات عليها. أما في مرحلة زواجهن، فنجد أنهن لجأن إلى الصبر على معاملات الرجل السيئة الخشنة الذي تعتبرها دمية وسلعة تجارية أو أحد ممتلكاته وخاصة صبرت على تهميش الرجل وخياته لها مع إمرأة أخرى، وفي الفترة الزمنية كانت تعد أداة لإنجاب الأطفال، وتدبير الشؤون المنزلية، وتم تزويج معظمهن في سن مبكرة، كأن الزواج ليس إلا صفقة تجارية، أو عقابا عليها، فشعرت بالإحباط والملل، ولجأت أكثرهن إلى الطلاق بسبب الزواج من رجل غير متساوي وغير متكافئ. فتغلب عليها الخوف الشديد من أن هذه الحادثة ستحولها إلى إمرأة سيئة الأخلاق، وستتعرض

سمعتها للسوء في المجتمع، لأنها قد أصبحت الآن مطلقة. أصبحت "نادية" سيدة الأعمال الناجحة، وحققت إنجازات كبيرة هائلة في أعمالها، ولكنها لم تتمكن من النجاح في الحب والزواج، فتمردت فكريا وجسديا. وأرادت اختراق عادات المجتمع وتقاليده المألوفة. وأصبحت في نهاية المطاف على مفترق الطرق تقف حائرة لا تعرف أي الطرق ينبغي لها تختار. ومازالت تحاول البحث عن شخص يراعيها ويهتم بأمورها، ويحميها، كما تمردت "شادن" جسديا، واضطرت إلى قضاء حياتها الباقية بدون الزواج، وبدأت الأعمال الحرة.

طرحت الكاتبة في رواياتها أفكار تحرر المرأة وتمردها على السلطة الذكورية. ودعت إلى التعليم والتعلم والعمل، وكذلك سلطت الضوء على بعض قضايا هامة أخرى، منها العنف، والزواج القسري، ونظرة المرأة الدونية، واضطهاد الرجل على المرأة العقيم وقسوته، وتعدد الزوجات، والطلاق والمحلل، والتمييز الجندري، في العائلة، ولكنها ركزت عنايتها الخاصة على إبراز تمرد المرأة جسديا. ولاحظنا في معظم رواياتها أن البطلة تحمل رغبة شديدة في اختراق القيود، وانتهاك القانون، الذي قد وضعه الرجل لمصالحه الذاتية. وينشأ هناك سؤال: هل تمكنت المرأة عن طريق تمردها الجسدي من تحقيق الحرية الفعلية بمعنى الكلمة؟ فإذا قمنا بحتليل نهايات الرويات، رأينا أنها مأساوية. وإن بطلة الرواية إما تعرضت للجنون أو اتهمت المجتمع بالجنون، أو لجأت إلى الطلاق، أو وضعت نهاية لحياتها أو خسرت علاقتها بكل من يجاورها في المجتمع.

وردا على السؤال الذي تم طرحه آنفا، يمكن أن أقول بأن الكاتبة كونت جوا مناسبا للتعبير، وتمكنت من ممارسة الحرية في منح أدوار تمرد وتحرر لبطلات رواياتها، ولكنهن لم يستطعن تحقيق الحرية من خلال هذه الأدوار، فإن حرية الجسم وممارسة التمرد على التقاليد والعادات لا تعني حرية تامة، حتى لم يستطع المرأة المثقفة والمتعلمة تحقيق ذلك، فإن "آمال" كانت إمرأة مثقفة درست الحقوق والقانون،

ومارستها كمحامية، وكذلك كانت "شادن" إمرأة صحفية وإعلامية بارزة، وكتبت الروايات والمقالات، ولكنهما فشلتا في تحقيق حرية تامة.

لاحظت عبر متابعتي لبعض الروايات النسوية العربية للكاتبة "ليلى الأطرش" أن القاسم المشترك لا ينطلق فيها إلا من صراع العلاقات بين المرأة والرجل، وتعتقد بطلة الرواية أن كل ما عانته من اضطهاد وتخلف في مجال التعليم والثقافة وحرمان الحقوق، يرجع سببها إلى الرجل الذي هو المسؤول الوحيد عن هذه المعاناة والمشاكل في حياتها، بينما نجد أن هناك عددا كبيرا من النساء اللواتي يرين أن المرأة ناقصة عقلا ودينا، وتطمح أكثرية الأمهات أن يرزقن بولد ولا بنت. ولاشك أن هناك بعض شخصيات الرواية النسوية قدمن نظراتهن المعاكسة للمرأة، وقلن إن الإرث التاريخي هو الذي أنتج هذه النظرة السلبية للمرأة التي وقع الرجل ضحيته أيضا. وهناك نظرة ثالثة قدمتها بعض الروائيات، وقلن إن التخلف التاريخي والاجتماعي والثقافي هو الذي أدى إلى حرمان المرأة من حقوقها واضطهادها، فيجب على كل من الرجل والمرأة أن يجتمعا على منصة واحدة ويخوضا المعركة المشتركة معا ضد العبودية والتخلف، لأن الرجل لا يقدر وحده على تحقيق الحرية في مجتمع حيث يعيش نصف سكانه من الرقاق والمظلومين.

وهنا أريد أن أوضح أنني لاحظت تكرار المواضيع في روايات "ليلى الأطرش" التي قرأتها مع اختلاف تاريخ ظهورها إلى حيز الوجود ابتداءا من روايتها الأولى "وتشرق غربا" التي صدرت في عام 1988م إلى روايتها الأخيرة "ترانيم الغواية" التي صدرت في عام 2015م، وهذا يدل بكل وضوح على أن القضايا التي طرحتها الكاتبة في روايتها لم يتم معالجتها، ولا تزال قائمة في المجتمع البشري.

وفيما أعتقد أن هذا العمل الشاق يستوجب ضرورة مجهودات المرأة المخلصة الدؤوبة أولا وويجب عليها أن تقوم بتحسين نظرتها قبل أن تحمل على الرجل المسؤولية عن وضعها السيئ، وبعد ذلك تطالب الرجل بتغيير وجهة نظره ونظرة

المجتمع نحوها، وهذا لن يتحقق إلا إذا تزودت المرأة بالعلم والمعرفة، ومارست العمل الدؤوب وثقت بنفسها ثقة كاملة لأن دورها متمم لدور الرجل على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. إن المرأة تبدو أنها قد خضعت لوضعها الاجتماعي، واستلمت له وفقدت أملها في تحسن حالها وتغير نظرة المجتمع نحوها، لأن النظام الأبوي ما زال ولا يزال راسخا ومستمرا منذ زمن بعيد.

إن دراسة قضايا المرأة في الروايات النسوية العربية هي أحد أبرز مظاهر الإنتاج النسوي الجديد، وأعتقد أنه من الأفضل أن الكاتبة تتوجه إلى الموضوعية قبل توبيخ الرجل وتأنيبه وتوجيه اللوم إليه، وتحميل المسؤولية عليه عن كل إخفاقاتها. ويتركز الفهم النسوي على التلائم بين الخاص والعام، لأنهما متداخلان ويتطلبان إقامة علاقة وطيدة بينهما. ويتطلب الوقت ضروة القضاء على كل نظرة أنوثية وذكرية تستهدف اضطهاد الآخر والانعزال عن المجتمع من أجل منع ظهور ثقافة نسوية غير متساوية تفصل بين الرجل والمرأة في المجتمع، لأن حرية المرأة عبارة عن حركة، تتطلب مشاركة فعالة من كل فرد من أفراد المجتمع، وليست هي منحصرة على المرأة فقط، ولن تقدر هذه الحركة على تحقيق النجاح إلا إذا تم تنفيذ نظام ديموقراطي يدعو إلى التساوي بين الرجل والمرأة كليهما لمصالح المجتمع البشري بدون محاولة إزاحة الرجل عن السلطة ليحل المرأة محله.

إن هذا البحث ليس إلا نتاج جهدي المتواضع، الذي أضفتها إلى جهود الباحثين الآخرين الذين قاموا بدراسة نفس الموضوع أوما يشبهه من أجل التعرف على أوضاع المرأة العربية، وظواهر الكاتبة الفكرية والفنية في رواياتها.

وأخيرا أدعو الله تبارك وتعالى أن يتقبل عملي المتواضع هذا وأن يجعله خالصا لوجهه ومفيدا لمن يريد أن ينهل من منهله وهو مجيب الدعوات وله الحمد والشكر كله والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والرسل محمد وعلى آله وأصحابه الكرام.

المصادر والمراجع

الكتب والمؤلفات:

- إبراهيم صنع الله: التجربة الأنوثية، دارالثقافة الجديدة القاهرة 1994
- إبراهيم خليل: في الرواية النسوية العربية، دار ورود الأردنية للنشر والتوزيع عمان ط2007/1
- إبراهيم خليل: الانتفاضة الفلسطينية في الأدب، دار الكرمل عمان 1989
- أبونضال نزيه: الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية في خصوصية الإبداع النسوي، وزارة الثقافة عمان 1997
- أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية من 1950– 2000، مركز أوغريت للنشر والترجمة رام الله 2007
- أحمد أبومطر: الرواية في الأدب الفلسطيني (1950–1975) وزارة الثقافة والإعلام بغداد، ط 1، 1980
- أبوعوف عبدالرحمن: القمع في الخطاب الروائي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان القاهرة 1999
- إبراهيم خليل: الرواية في الأردن، ط1، دار الكرمل للنشر والتوزيع عمان 1994
- أبو عوف عبدالرحمن: القمع في الخطاب الروائي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة 1999
- أبو نضال نزيه: الأنثى المتمردة في القصيدة النسوية العربية في الكتابة والمتخيل، دار الفارس للنشر والتوزيع عمان 1999
- أحمد الحميدي: المرأة في كتاباتها، دار ابن هاني دمشق 1986
- أبو بكر وليد: الواقع والتحدي في رواية الأرض المحتلة، دائرة الثقافة ط1 / 1988
- أحمد دوغان: الخطاب النسوي في الأدب العربي الحديث، دار الثريا للنشر والتوزيع، حلب 2004

- أحمد دوغان: معجم الصوت النسائي في الأدب العربي الحديث، دار الثريا للنشر والتوزيع، حلب 2004
- أبو مطر أحمد: الرواية في الأدب الفلسطيني 1950-1975، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1/ 1980
- الأشتر عبد الكريم: دراسات في أدب النكبة، درار الفكر ط1/ 1975
- آمنة غصن: نقد المسكوت عنه في خطاب المرأة والجسد والثقافة، درا الهدى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2003
- آسيا شبلي: رواية الجزار، مطبعة دار الشرق، عمان 1989
- أسمهان حلايلة: آخرالنفق، دائرة الثقافة العربية للطباعة والنشر، الناصرة 2000
- الدكتور شكري: أزمة الجنس في القصة العربية، دار الشرق، القاهرة ط1 / 1991
- بركات حليم: رؤى الواقع الاجتماعي في الرواية العربية المعاصرة، مركز الدراسات العربية المعاصرة ، واشنطن 1999
- جان نعوم طنوس: المرأة والحرية، دراسات في الرواية العربية النسائية، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، لبنان 2010
- جورج طرابيشي: أنثى ضد الأنوثة، ترجمة دراسة أدب نوال السعداوي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1984
- جورج طرابيشي: قضية النساء، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت 1986
- حميدة نعنع: امرأة لا تعرف الفرح، دار الأجيال دمشق1970
- الخالد كورنيلينا: المرأة العربية، الإبداع النسوي والنظريات النسوية في خصوصية الإبداع النسوي، وزارة الثقافة عمان 1997
- الخطيب حسام: ظلال فلسطينية في التجربة الأردنية، دائرة الثقافة، دمشق ط1/ 1990
- خليل إبراهيم: العلاقة بالذات في خصوصية الإبداع النسوي، وزارة الثقافة عمان 2000
- رشاد أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشرق للنشر والتوزيع 2007
- رجاء بكرية: امرأة الرسالة، دار الجندي للنشر والتوزيع، طبعة جديدة 2014
- رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية بلاغة الاختلاف، دار البيضاء 1994
- زيات لطيفة: صورة المرأة في الروايات العربية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1989

- سلام عباسي: رواية جورية، دار الهدى للطباعة والنشر 2008
- سلوى البنا: الآتي من المسافات، الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، بيروت 1976
- سلوى البنا: عروس خلف النهر، دار الاتحاد للطباعة والنشر، بيروت 1972
- سلوى البكر: رواية العربة الذهبية لا تصعد إلى السماء، ط1/ آسيا للنشر مصر 1991
- سناء العزة: القضايا الموضوعية والفنية في روايات ليلى الأطرش، مكتبة مركز التمييز الأردني 2012
- سليم النجار: دراسات تطبيقية في الروايات النسوية العربية، دار فضاءات للنشر، عمان 1998
- سهير داؤود: شبابيك الغزالة، مطبعة دار الشرق، عمان 2000
- شعبان بثينة: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب بيروت 1999
- صالح فخري: في الرواية الفلسطينية، مؤسسة دار الكتاب الحديثة، بيروت ط1/ 1985
- عبدالله إبراهيم: السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنوثية، والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2011
- عبيدات أروى: صورة المرأة في الرواية الأردنية، وزارة الثقافة عمان 1995
- عبدالله الغذامي: المرأة واللعنة، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994
- عبدالله رضوان: الرواية الأردنية على مشارف القرن الواحد والعشرين، دار الخليج للنشر والتوزيع 2014
- فاطمة ذياب: رحلة في قطار الماضي، دار القبس العربي عكا 2002
- فاطمة ذياب: الخيط والطزيز، دار الشرق للطباعة والنشر عمرو 1990
- فراج عفيف: الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط 2/ 1980
- قهوجي حبيب: العرب في ظلال الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948، مركز الأبحاث في م، ت، ف، بيروت 1972
- القاضي إيمان: الرواية النسوية في بلاد الشام، السمات النفسية والفنية 1950-1985، الأهالي دمشق ط1/ 1992
- ليلى الأطرش: امرأة للفصول الخمسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1999
- ليلى الأطرش: مرافئ الوهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2005

- ليلى الأطرش: وتشرق غربا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1988
- ليلى الأطرش: ترانيم الغواية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2014
- ليلى الأطرش: صهيل المسافات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1999
- ليلى الأطرش: رغبات ذاك الخريف، وزارة الثقافة الأردنية 2010
- ليلى الأطرش: أبناء الريح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2012
- ليلى الأطرش: ليلتان وظل امرأة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1998
- موسى شمس الدين: المرأة الأنموذج في الرواية العربية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985
- ناهد رمزي: سيكولوجية المرأة، دار النهضة العربية، القاهرة 1999
- نوال السعداوي: الخيط وعين الحياة، دار الآداب بيروت 1972
- نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، مكتبة مدبولي، القاهرة 1971
- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1990
- نازك الأعرجي: صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية سوريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان 1997
- نزيه أبونضال: تمرد الأنثى في الرواية النسوية الأردنية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2004
- نزية أبونضال: علامات على طريق الرواية في الأردن، دار أزمنة للنشر عمان 1996
- وادي طه: صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة ط 2/ 1980
- وفيقة حمدي: كفاح المرأة على الصعيدين العالمي والعربي الفلسطيني، إدارة الشؤون العامة لجيش التحرير الفلسطيني دمشق ط1/ 1973
- وفيقة حمدى: دور المرأة في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، منشورات الطلائع "قوات الصاعقة" دمشق 1975
- ياسين بو علي: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري، دار الحوار اللاذقية 1992

دوريات ومقالات:

- أبو نضال نزيه: المرأة في كتابات هلسا، مجلة الكاتب العربي العدد 45، الاتحاد العام للأدباء العرب، أبوظبي
- أحمد أبو مطر: ليلى الأطرش " في ترانيم الغواية " تعبير بناء القدس وشعبها روائيا، 9 ديسمبر 2014، صحيفة إيلاف الصادرة عن لندن
- أبو شغر هند: الإسهام القصصي للمرأة الأردنية ما بين 1947– 1967، مجلة أفكار، العدد 130 آذار ونيسان
- أبو نضال نزيه: المرأة في الأردن بين الواقع والطموح، المجلة الثقافية، العدد 26
- أبو نضال نزيه: تمرد الأنثى، مجلة تايكي ربيع 2002
- حوار مع الروائية "فاطمة ذياب"، مجلة الشرق مجلد 32، 2002
- خليل أحمد: المرأة والعمل، مجلة النهج، دمشق، العدد 41 خريف 1945
- نايف النوايسة: صورة المرأة في الرواية النسوية الأردنية، موقع أقحوانة الجبل 2014
- هيفاء البشير: الكاتبة ليلى الأطرش في تجربة " مبدع " في منتدى الرواد الكبار 13 فبراير 2014، صحيفة جو 24

فهرس المحتويات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	8-1
الباب الأول : ليلى الأطرش في ضوء أعمالها	
الفصل الأول : مولد ليلى الأطرش ونشأتها وحياتها العلمية	10
مولدها ونشأتها وتعليمها والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيتها	01
ليلى الأطرش كإعلامية بارزة	11
نشاطاتها العلمية والأدبية والاجتماعية	15
الفصل الثاني: إسهاماتها العلمية والأدبية في إثراء اللغة العربية وآدابها	20
خدماتها في مجال الصحافة والإعلام المرئي	23
مؤلفاتها الأدبية	25
الجوائز	27
العضويات	28
الباب الثاني: صورة المرأة في روايات ليلى الأطرش	
الفصل الأول: نظرة على روايات المرأة في فلسطين	29
تاريخ تطور الرواية النسوية في فلسطين	29
خصوصية الخطاب النسوي	33
ملامح السيرة الذاتية في الرويات النسوية العربية الفلسطينية	38
اختراق الثالوث المحرم	40
مفهوم الجنس والحب في روايات المرأة	40
الأمور السياسية	42
الأمور الدينية	44
توظيف اللغة الشعرية الأنثوية في الروايات النسوية الفلسطينية	45
الفصل الثاني: هوية المرأة وتمردها في روايات ليلى الأطرش	47
صورة المرأة المناضلة	53
نموذج المرأة الثورية	58

قضية الطلاق والمحلل في المجتمع العربي	62
الفصل الثالث: صراع العلاقات بين الرجل والمرأة	67
صورة المرأة المثقفة	68
صورة المرأة المتمردة	75
الباب الثالث: قضايا المرأة في روايات ليلى الأطرش	
الفصل الأول: قضايا المرأة في رواية امرأة للفصول الخمسة	79
التحليل الوظيفي	82
ثورة مكنونة	85
المراوحة في الزمن	91
الفصل الثاني: قضايا المرأة في رواية ليلتان وظل إمرأة	94
العقدة في الرواية	98
قوة الماضي	102
صورة مزدوجة لإمرأة واحدة	103
الفصل الثالث: قضايا المرأة في رواية "مرافئ الوهم"	105
تنوع الأصوات	110
خاتمة البحث	115
المصادر والمراجع	120

Women Issues in the novels of Laila Al- Atrash
(A Selective Analytical Study)

DISSERTATION

Submitted to Jawaharlal Nehru University in Partial Fulfilment of the Requirements for the Award of Degree of

MASTER OF PHILISOPHY

Submitted by

Mahtab Alam

Under the Supervision of

Dr. Md. Qutbuddin

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067

2017